المشرق الإسلامى

اتسعت الدولة الإسلامية اتساعا كبيرا وخصوصا فى العصر العباسى، وانقسمت الدولة الإسلامية تبعا لذلك إلى قسمين، مشرق ومغرب، والمغرب يتكون من البلاد التى تقع غرب بغداد مثل بلاد الشام ومصر وشمال إفريقيا (تونس والجزائر ومراكش) ويتكون المشرق من البلاد التى تقع شرق بغداد وتشمل بصفة عامة الإمبراطورية الفارسية القديمة التى آلت إلى العرب المسلمين، وهى على وجه التحديد، فارس وخراسان وبلاد ما وراء النهر وسجستان وأذربيجان وزابلستان وبلاد السند، وتتكلم هذه البلاد اللغة الفارسية ولهجات تركية.

وقامت الدولة العباسية من المشرق؛ ذلك لأن هذه البلاد اعتنق أهلها الإسلام بعد الفتح، ولكن ساءهم معاملة العرب لهم فى العهد الأموى معاملة تتنافى مع روح الإسلام، وهى المساواة بين المسلمين جميعا، عرب وغير عرب «ولافرق بين عربى وعجمى إلا بالتقوى» وأطلقوا عليهم اسم موالى، وحرموهم من الوظائف الرئيسية فى الدولة، لذلك ناهض سكان المشرق الإسلامى الدولة الأموية، وساهموا بدور فعال فى إقامة الدولة العباسية، وقام أبومسلم الخراسانى بدور رئيسى فى نشر الدعوة العباسية، وإقامة دولة العباسيين.

واعترف الخليفة أبوجعفر المنصور بفضل أهل المشرق فى إقامة الدولة العباسية، وعبر عن ذلك بقوله: أنتم شيعتنا وأنصارنا وأهل دعوتنا وأوصى ولى عهده بهم بقوله: وأوصيك بأهل خراسان خيرا فإنهم أنصارك وشيعتك، بذلوا أموالهم فى دولتك ودماءهم دونك، وأوصاه بالإحسان إليهم، والتجاوز عن مسيئهم، وأن يكافأهم على ما كان منهم[1]. وقال الجاحظ: إن الدولة العباسية أعجمية خراسانية.

وعلى ذلك أصبح للمشرق الإسلامى أهمية كبرى فى تطور الأحداث السياسية فى الدولة العباسية، وأصبح له شخصية متميزة، واتخذ العباسيون وزراءهم وقادتهم من

(١) الطبرى: تاريخ الأمم والملوك حوادث سنة ١٥٨هـ.

المشرق، وضم الجيش العباسى فريقا كبيرا من المشرق، وحينما أسس الخليفة المنصور مدينة بغداد، أطلق على الباب الرئيسى منها، باب خراسان، لإقبال الدولة العباسية منه، وقسم الخليفة هارون الرشيد دولته المترامية الأطراف بين ولديه الأمين والمأمون، اختص الأمين بالمغرب الإسلامى فى الشام ومصر وولايات الشمال الإفريقى، بينما أسند إدارة المشرق الإسلامى إلى ابنه المأمون، كما أن الوزير يحيى بن خالد البرمكى وزير الرشيد - أسند إدارة دولته إلى ولديه، الفضل وجعفر، اختص الفضل بالمشرق الإسلامى، وجعفر بالمغرب الإسلامى.

احتفظ أهل المشرق بلغتهم الفارسية، وتطورت مع الزمن واختلطت بالعربية، وتعلموها؛ لأنها لغة القرآن ولغة الدولة وأظهر أهل المشرق الإسلامى مقدرتهم الفكرية، فصنعوا الكتب القيمة فى علوم الدين واللغة والتاريخ والجغرافيا والفلسفة والطب والرياضيات والنجوم وغيرها، وساهموا مساهمة كبيرة فى ازدهار الفكر الإسلامى.

استخدم تعبير المشرق الإسلامى فى المكاتبات الرسمية، وأقوال العلماء، فالمقدسى حينما انتهى من زيارة العراق، واتجه إلى بلاد الإسلام شرقى بغداد، أطلق على البلاد التى زارها - خراسان وبلاد ما وراء النهر وفارس وسجستان - اسم المشرق.

وبعد أن ساهم طاهر بن الحسين بدور رئيسى فى التخلص من الأمين فى صراعه مع أخيه المأمون، كافأه الخليفة المأمون بإسناد ولاية الجزيرة له، فشعر طاهر بن الحسين بالغربة فى تلك البلاد التى تختلف عن المشرق - التى هى بلاده - وما زال بالمأمون حتى ولاه سنة ٢٠٥هـ حكم «بغداد إلى أقصى عمل المشرق»(١).

وكانت مراسم الخلفاء العباسيين للأمراء السامانيين، تتضمن تفويضهم حكم ما وراء النهر إلى أقصى بلاد المشرق(٢). وهناك إشارات كثيرة فى كتب تفويض الخلفاء العباسيين لأمراء ولايات المشرق، تتضمن تفويض الخليفة حكم ما وراء بابه - أى بغداد - من البلاد التى تقام فيها الدعوة فى المشرق.

وظهرت فى المشرق الإسلامى مدن، ساهمت مساهمة كبيرة فى ازدهار الفكر الإسلامى، وكانت مراكز إشعاع حضارى فى الدولة الإسلامية، مثل بخارى وسمرقند

(١) الطبرى: تاريخ الأمم والملوك حوادث سنة ٢٠٥ هـ.
(٢) النرشخى : تاريخ بخارى ص ١١٦.

والرى وأصفهان ونيسابور وغزنة، وكانت مساجدها، جامعات، يفد إليها طلاب العلم من كل فج عميق من ديار الإسلام، وجلس فيها شيوخ العلم للتدريس، وصنفوا المصنفات القيمة فى مختلف فروع العلم.

وقامت فى المشرق الإسلامى دول، ساهمت بنصيب كبير فى ازدهار الحضارة الإسلامية والمحافظة على تراث الإسلام، وتراث الفرس الحضارى.

قامت دول فارسية وتركية فى المشرق الإسلامى، الفارسية هى الدول الطاهرية والصفارية والسامانية والبويهية، والتركية هى الدول الغزنوية والسلجوقية والخوارزمية. ويقع بعض الباحثين فى خطأ شديد، حينما يسمون الدول المستقلة فى الشرق الدويلات المستقلة؛ لأن هذه الدول تمتلك مساحات شاسعة ولها ميزانية كبيرة وجيوش قوية، وأنظمة تشريعية وسياسية تميزها عن غيرها، وتضم أقطارا متعددة، فهى إذن دول مستقلة فى نطاق الدولة الأم، الدولة العباسية.

ظهور الدول المستقلة فى المشرق الإسلامى

ضمت الدولة الإسلامية منذ قيامها، مسلمين من المشرق، ومسلمين من المغرب، وعامل الأمويون - كما قلنا - مسلمى المشرق معاملة الموالى، أى مواطنين من الدرجة الثانية، فلم يقبل الموالى الفرس هذه المعاملة؛ لأنهم أهل حضارة عريقة، ودانوا بالإسلام الذى يدعو إلى المساواة بين الشعوب، وعارضوا بنى أمية، وانضموا إلى الحركات المعارضة لحكمهم، وناصروا الدعوة العباسية التى نمت وترعرعت فى المشرق، وتزعمها أبو مسلم الخراسانى، ورفع العباسيون فى دعوتهم شعار المساواة وتحققت أحلام الفرس فى المساواة بعد قيام الدولة العباسية.

لم يكتف الفرس بما حققوه من مساواة فى ظل الدولة العباسية، ولكنهم استغلوا ما حصلوا عليه من امتيازات، وحاولوا إظهار نحلهم القديمة، والاستبداد بالحكم دون الخلفاء، وناصروا العلويين، وهذا عرضهم لاضطهاد العباسيين فنكب الرشيد البرامكة، وتخلص المأمون من الفضل بن سهل ونكّل العباسيون ببعض وزرائهم الفرس.

لم يقبل العرب ازدياد نفوذ الفرس، فنشأ حزب عربى تزعمته زبيدة - زوج الرشيد - والأمين ولى العهد - ونشأ الصراع بين العرب والفرس بعد وفاة الرشيد، انتهى

بمقتل الأمين وانتصار المأمون - زعيم الحزب الفارسى - وتوليته - أى المأمون، الخلافة. وضعف بذلك الحزب العربى.

على أن الحزب الفارسى ضعف كذلك فى عهد المعتصم الذى استعان بالترك، وأبعد العرب والفرس.

وعبر الفرس عن استيائهم بتكوين دول مستقلة فى المشرق فى نطاق الدولة العباسية - الأم - ومما يسر لهم ذلك ضعف الخلافة العباسية بعد وفاة الخليفة الواثق سنة ٢٣٢هـ ونهاية العصر العباسى الأول - عصر الحكم المركزى لكل ولايات الدولة العباسية، وكان الخليفة يجمع فى يديه السلطة والنفوذ على سائر أنحاء الدولة العباسية، وكل أمور ولايات الدولة راجعة إليه، على أن هذه المركزية تغيرت فى العصر العباسى الثانى، حيث أضعف الترك الخلافة العباسية وفقد الحكم المركزى كل مقوماته وصلاحياته، وحلت اللامركزية محل المركزية، حيث حكم حكام الولايات ولاياتهم حكما مستقلا وارتبطوا بالخلافة بروابط اسمية مثل إقامة اسم الخليفة فى الخطبة، ونقشه على العملة، والحصول على تفويض بحكم ولاياتهم. ومن هنا قامت الدول المستقلة فى مشرق دولة الإسلام، ومغربها.

Scanned with OKEN Scanner

الدول الفارسية فى المشرق الإسلامى

١- الدولة الطاهرية

[٢٠٥-٢٥٩هـ/ ٨٢٠-٨٧٢م]

أسس طاهر بن الحسين، الدولة الطاهرية - من كبار قواد الدولة العباسية - ولى منطقة بوشنج[١]، حينما بدأ النزاع بين الأمين والمأمون، وقام طاهر بدوره فى محاربة الأمين، طمعا فى المكاسب التى سيحصل عليها من وراء هذا العمل، فاشتبك مع على ابن عيسى - قائد الأمين - وهزمه وقتله[٢] سنة ١٩٥هـ - ٨١٠م.

وتقدم طاهر بن الحسين إلى بغداد، واستولى على ما فى طريقه من البلاد، وحاصر بغداد - والأمين بها، وانتزعها من الأمين سنة ١٩٨هـ-٨١٣م، وكافأه المأمون، بعد أن استقر فى الخلافة، وأسند إليه ولاية الجزيرة، وولاية شرطة بغداد، ورفض المأمون توليته خراسان، حتى لا يستقل بها، إذ أدرك المأمون، مدى ما يتمتع به طاهر ابن الحسين - هذا القائد الفارسى - من نفوذ فى خراسان والمشرق عموما[٣].

على أن طاهر بن الحسين لم يقنع بولاية الجزيرة، إذ كان يطمع فى ولاية خراسان، وما زال بالمأمون حتى أسند إليه سنة ٢٠٥هـ - ٨٢٠م جميع البلاد شرقى بغداد، أى المشرق الإسلامى ووطد طاهر بن الحسين نفوذه فى خراسان، واتخذ من نيسابور - حاضرة لدولته - وعلى ذلك استطاع طاهر بن الحسين أن يؤسس أول إمارة شبه مستقلة فى المشرق الإسلامى[٤].

إعتزم طاهر بن الحسين الاستقلال نهائيا بدولته عن دولة الخلافة العباسية؛ ففى سنة ٢٠٧هـ - ٨٢٢م أسقط اسم الخليفة العباسى من الخطبة، إذ صعد المنبر، وقرأ الخطبة وعندما جاء إلى ذكر اسم الخليفة، أمسك عن الدعاء له وقال: اللهم أصلح أمة محمد ما أصلحت به أولياءك، واكفيها مؤونة من بغى فيها، وحشد عليها، بلم الشعث وحقن الدماء، وإصلاح ذات البين. على أن طاهر بن الحسين توفى فى تلك الليلة.

---

(١) إحدى ضواحى خراسان.

(٢) بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية جـ ٢ ص ٩٣.

(٣) الطبرى: تاريخ الأمم والملوك حوادث سنة ١٩٠٨م.

(٤) الطبرى: تاريخ الأمم والملوك حوادث سنة ٢٠٧هـ.

Scanned with OKEN Scanner

ترك طاهر بن الحسين وصيته لخليفته ليحدد له السياسة التى يجب أن يتخذها الحاكم المسلم نحو رعيته، وأوصاه بالعدل والإحسان إلى الرعية، والحكم بما أنزل الله والتفقه فى الدين، وإنفاق الأموال فى حقها، وعدم كنز الأموال وإقامة الحدود، وقال فى وصيته: «وأحب أهل الصدق والصلاح وواصل الضعفاء، وصل الرحم، وأنعم بالعدل سياستهم، وقم بالحق فيهم، وبالمعرفة التى تنتهى بك إلى سبيل الهدى، واملك نفسك عند الغضب، واعلم أن الأموال إذا كثرت وذخرت فى الخزائن لا تثمر، وإذا كانت فى إصلاح الرعية وإعطاء حقوقهم، وكف المؤونة عنهم، نمت وربت وتفقد أمور الجند فى دواوينهم ومكاتبهم[1]. . . . .

وكان لهذه الوصية أثرها فى نفوس الناس، فدرسوها وكتبوها، وقدرها الخليفة المأمون، وقال: إن طاهرا لم يترك شيئا من أمور الدين والدنيا والتدبير والرأى والسياسة وإصلاح الملك والرعية وحفظ السياسة وطاعة الخلفاء، وتقويم الخلاقة، إلا وقد أحكمه[2]، وأمر بأن يُكتب بذلك إلى جميع العمال فى الولايات.

أبقى الخليفة المأمون، الطاهريين فى حكم المشرق الإسلامى، فعهد إلى طلحة بن طاهر، بحكم خراسان بعد أبيه، وخلف عبد الله بن طاهر، أخاه طلحة سنة ٢١٣هـ-٨٢٨م، واتسع حتى بلغ الرى وكرمان، علاوة على خراسان، وازداد نفوذه حتى امتد، وشمل المشرق الإسلامى حتى بلاد الهند[3]. .

حرص خلفاء طاهر بن الحسين على تحسين علاقاتهم بالخلفاء العباسيين، وراعوا حقوق الدولة فى شئون الحكم والإدارة بل وقفوا إلى جانبهم فى القضاء على حركات التمرد والعصيان التى قامت ضدهم؛ لذلك حرص الخلفاء العباسيون على دعمهم وتأييدهم[4].

أزال عبدالله بن طاهر فتن الخوارج فى خراسان ولم يتهاون مع حكام الأقاليم الذين ظلموا الرعية، وجمع الفقهاء من العراق وخراسان، وأمرهم بوضع كتاب عن الأرض وملكيتها وأساليب الرى، واستخدام الماء، وألزم أهل دولته باتباع ما جاء فى الكتاب.

---

(١) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك، حوادث سنة ٢٠٦هـ.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق ص ٢١٣.

(٤) الكردبزى: زين الأخبار ص ٢١٨.

Scanned with OKEN Scanner

وأصدر عبدالله بن طاهر منشورا إلى عماله يحثهم على العدل وتجنب الظلم وقال: «وتساندوا الفلاح الذى صار ضعيفا امنحوه القوة، وأعيدوه إلى ما كان عليه، فإن الله سبحانه وتعالى، جعل الطعام من أيديهم، والسلام من ألسنتهم وحرم الظلم عليهم. . ويجب أن يعطى العلم لأهله ولغير أهله؛ لأن العلم أمنع من أن يثبت مع غير أهله[1]. وتوفى عبدالله بن طاهر سنة ٢٣٠هـ[2].

كان محمد بن طاهر آخر خلفاء الدولة الطاهرية، ولم يكن على شاكلة أسلافه، فقد كان أميرا ماجنا عابثا، فضعف عن إدارة شئون الدولة، وقامت ضده عدة ثورات، عجز عن قمعها، واضطربت البلاد، فاستنجد الناس بيعقوب بن الليث الصفار للقضاء على الفوضى التى شملت بلادهم، فسار يعقوب إلى نيسابور سنة ٢٥٤هـ -٨٦٧م، وقبض على محمد بن طاهر وأفراد أسرته وأهل بيته. وبذلك زالت الدولة الطاهرية.

* * *

١) الكرديزى: زين الأخبار ٢١٨.

٢) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، حوادث سنة ٢٥٦ هـ.

Scanned with OKEN Scanner

٢- الدولة الصفارية

[٢٥٤ - ٢٩٠هـ - ٨٦٧ - ٩٠٣م]

تنسب الدولة الصفارية إلى يعقوب بن الليث الصفار، وكان رجلا مغمورا من قرية من قرى سجستان، تدعى قرنين، وعمل صفارا أى فى طلاء الأسلحة، وإزالة الصدأ عنها، ثم عمل قاطع طريق، وكان شهما جوادا، يجود بكل ما يملك، وكان يرعى حرمة أقربائه، وإذا سرق أحدا، أعاد له بعض ما سرق، وعلت مكانته فى سجستان، وأصبح من أفراد المطوعة، (وهى فرق عسكرية تعمل على حماية سجستان، وفارس وكرمان من حالة الفوضى التى تعرضت لها من ثورات الخوارج،) وتولى قيادة المطوعة، ومن ثم عظم أمره، حتى أن أهل سجستان استنجدوا به؛ لتخليصهم من الفوضى التى حلت ببلادهم، فسار إليهم يعقوب، ودفع عنهم الضر، ولما رأى أهل سجستان شجاعته وإقدامه، ولّوه قيادتهم(١).

بدأ يعقوب بن الليث بالسيطرة على بست، وطرد واليها نصر بن صالح، ثم استولى على سجستان، وتقدم إلى غزنة، وسيطر على البلاد التى فى طريقه، وخرّب مدينة غزنة، واستولى على زابلستان، ثم استولى على كابل، وتقدم إلى هراة وبوشنج واستولى عليهما، ثم قصد يعقوب بن الليث نيسابور - حاضرة الطاهريين - وقبض على محمد بن طاهر، واستولى على خزائنه، ونهب أموال الطاهريين، ثم قصد يعقوب فارس والأهواز واستولى عليهما، ودخل شيراز، واستولى على بلخ سنة ٢٥٨هـ ورحل إلى طبرستان وجرجان، وحارب الحسن بن زيد - أمير هذه البلاد، وانتصر عليه، ونهب خزائنه سنة ٢٦٠هـ، وأسر جماعة من العلويين، وأساء إليهم، ودخل آمل فى طبرستان، وهزم الحسن بن زيد مرة أخرى. على أن زلزالا عنيفا حدث فى هذه البلاد، أهلك الكثير من جنده(٢).

اشتد يعقوب فى معاملة أهل البلاد التى استولى عليها ولما شعر يعقوب باستياء الناس منه، واستياء الخليفة من ظلمه تقرب إليه حتى يحصل على تفويض منه بحكم البلاد التى استولى عليها، وأرسل الهدايا إلى الخليفة المعتمد، من بينها هدية عبارة عن مسجد من الفضة الخالصة، يسع خمسة عشر رجلا يصلون فيه، وحمل على عدة

---

(١) الكرديزى: زين الأخبار ص ٢٢٥.

(٢) الذهبى: تاريخ الإسلام جـ ٥ ص ١١.

Scanned with OKEN Scanner

جمال، وكان يحمل إلى الخليفة فى العام خمسة آلاف درهم(١). وعلى أثر ذلك منح الخليفة المعتمد يعقوب بن الليث تفويضا بحكم خراسان وفارس والرى وطبرستان وجرجان وأذربيجان وكرمان. وبذلك أقام يعقوب بن الليث دولة قوية على أنقاض الدولة الطاهرية.

على أن يعقوب بن الليث لم يكتف بذلك، بل طمع فى العراق وفى بلدان الخلافة، ودارت الحرب بين جيش الخليفة المعتمد وجيش يعقوب بن الليث هزم فيها الجيش الصفارى فى دير العاقول شر هزيمة، ومن نجا من الصفاريين جُرح وأفرج الخليفة المعتمد عن محمد بن طاهر - الذى كان أسيرا فى جيش الصفاريين. وضعف يعقوب بعد هذه الهزيمة، ومرض فى حاضرة دولته - نيسابور - وتوفى سنة ٢٦٥هـ ٨٧٨م(٢).

استطاع يعقوب بن الليث أن يكفل الأمن والاستقرار لدولته، بعد التدهور والاضطراب الذى عاشت فيه هذه البلاد أواخر أيام الطاهريين، واشتهر باليقظة وحسن التدبير، وكان لا يطلع أحدا على سره ولا يعرف أحدا بتدبيره وعزمه، وأكثر نهاره يقضيه خاليا بنفسه، يفكر فيما يريده، ويظهر غير ما يضمر وكان يحسن اختيار رجاله، وأعد جيوشه أحسن إعداد، واستطاع أن يحافظ على الأمن والنظام فى دولته، ويجبى منها الأموال الكثيرة، حتى عمرت خزينته(٣).

كان يعقوب يجمع المال من مصادراته للأغنياء، ووُجد بعد وفاته أربعة ملايين من الدنانير وخمسين مليونا من الدراهم. وكل متطلبات جنده ودولته من خزانته، فالجند يتسلمون الخيل والعلف من خزانته، وإذا نام يحرسه ألف جندى، اختارهم بصفة خاصة. وله كتيبتان، كتيبة تحمل أعمدة من الذهب، وكتيبة تحمل أعمدة من الفضة، وكان يمتلك خمسة آلاف جمل، وعشرة آلاف حمار.

أقرت الخلافة العباسية عمرو بن الليث خلفا لأخيه يعقوب. وأقرته على فارس وخراسان وأصفهان وسجستان والسند وكرمان، وأرسلت إليه العهد ومعه العقد والخلع، واتخذ عمرو بن الليث مع الخلافة العباسية موقفا وديا، فأظهر للخليفة الولاء والطاعة،

(١) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٢٦٥هـ.
(٢) المسعودى: مروج الذهب جـ ٢ ص ٤٧٦.
(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ حوادث سنة ٢٨٨.

Scanned with OKEN Scanner

وبلغ من ثقة الخلافة به أن أسندت إليه ولاية شرطة بغداد، بالإضافة إلى الولايات التى وليها، وذلك سنة ٢٧٦هـ - ٨٨٩م(١). وبذلك قوى نفوذه وسلطانه.

وضع عمرو بن الليث نظاما دقيقا لمراقبة عماله وولاته، ورتب موارد الدولة، وعمل على زيادتها، لكن عمرو لم يقنع باتساع رقعة دولته، بل طمع فى ضم المزيد من الأراضى إلى دولته، وطالب الخليفة العباسى بإقراره على حكم بلاد ما وراء النهر، ولم يجد الخليفة العباسى بدا من إقرار عمرو على حكم هذه البلاد، لكن إسماعيل بن أحمد السامانى - أمير بلاد ما وراء النهر - رفض تسليم ولايته إلى عمرو بن الليث، وكتب إليه يحثه على عدم الطمع فى بلاده، وقال له: إنك قد وليت دنيا عريضة، وأنا فى يدى ما وراء النهر، وأنا فى ثغر، واقنع بما فى يدك، واتركنى مقيما فى هذا الثغر. وبذل عمرو ابن الليث محاولات لإقناع الأمير إسماعيل السامانى بالتنازل له عن بلاد ما وراء النهر. ولما فشلت هذه المحاولات، دارت الحرب بين الأمير السامانى، والأمير الصفارى سنة ٢٨٨هـ - ٩٠٠م انتهت بهزيمة عمرو بن الليث ووقوعه أسيرا فى يد غريمه الأمير إسماعيل السامانى.

وكانت لهذه الواقعة نتائج هامة فى تطور الأحداث السياسية فى المشرق الإسلامى، إذ كانت بداية النهاية للدولة الصفارية وأمنت الدولة السامانية على حدودها من خطر الصفاريين، بل يسرت للسامانيين مد نفوذهم على ممتلكات الصفاريين.

لما علم الخليفة العباسى المعتضد بهزيمة عمرو بن الليث الصفار سر لذلك، وأشاد بموقف الأمير إسماعيل السامانى، ذلك لأن ازدياد نفوذ عمرو بن الليث فى المشرق، يشكل خطرا كبيرا على أملاك الدولة العباسية فى المشرق. ومهما يكن من أمر، فقد سبق الأمير الصفارى إلى بغداد، وبقى بها حتى وفاته سنة ٢٨٩هـ - ٩٠١م.

ضمت ميزانية الدولة الصفارية أموالا كثيرة، فكان لعمرو بن الليث الصفار، ثلاث خزائن، واحدة للسلاح، وثلاثة للمال، وكانت الخزائن دائما تلازمه، الأولى خزينة المال من الصدقات والجزية، وتصرف فى رواتب الجند، وخزينة المال الخاص، تجمع من الغلال الذى تنتجه الضياع، وتصرف فى أوجه النفقات والمطبخ، والثالثة

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٢٨٨.

يجمع مـالها من إنتاج الأرض الموات والمصادرات من الذين يمـالأون عدوه، وتنفق فى الصلات والعطايا للحشم والجواسيس والرسل.

وكان عـمرو كثيـر التفقـد لرجاله وجنده، ويأمر لكل منـهم بالصلات كل ثلاثة أشهر، ويتحين الفرصة لمصادرة أموال أعدائه وخصومه ومعارضيه(١).

وكان يستعرض جيشه فى أول العام، ويتـأكد من اهتمـام الجندى بزيه ومظهره ونظافة فرسه وعلمه وسلاحه، وكان يتفقد جنده من مكان مرتفع، وينادى العارض على الجند واحدا واحـدا، فالجندى الذى يتبع تعـاليم حسن المظهـر والعناية بسلاحه وفـرسه وعدته، يعطيه على قدر رتبته.

ولى طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث الصفار حكم الدولة الصفارية بعد موت عـمرو بن الليث، وكـان غرا صـغيـرا، نشأ على اللـهو والعـبث، وغلب عليه سبك السبكرى - غـلام عمرو بن الليث، ولم يكتـف السبكرى بذلك، بل قبض على الأمـير الصغير، وعلى أخيه يعقـوب ٢٩٠هـ - ٩٠٣م، وبعث بهما إلى بغداد، حتى لا يبقى له شريك فى الملك(٢).

على أن الأمور لم تصف للـسبكرى، بعد تخلصـه من الأمراء الصفـاريين، ففى سنة ٢٩٧هـ - ٩٠٩م سار الليث بن على بن الليث إلى فـارس، وتغلب عليها، وطرد منها السـبكرى، فاستنجـد السبكرى بالخليـفة المقتـدر الذى أمده بالجيش يقـوده مؤنس الخادم، أوقع الهـزيمة بالليث الصفـارى وأسره. على أن السبكرى رغم موقف الخـلافة المؤيد له، تمرد على الخليفة، وامتنع عن أداء الأموال المقررة عليه الخلافة، فسعت الخلافة إلى التخلص منه، وانتزعت منه فارس، وسار الأمير إسمـاعيل السامانى إلى سجستان، واستولى عليها، وقبض على سبك السـبكرى وعلى محمد بن على بن الليث الصفار، وبعث بهما إلى بغداد ٢٩٧هـ - ٩١٠م ومن ثم زالت الدولة الصفارية.

وصفوة الـقول أن الدولة الصفارية زالت بسـبب جهود الخلافـة العباسيـة المتصلة للقضاء عليهـا، والهزائم المتكررة التى مُنى بها الصفاريون من أعدائهم السامـانيين، فقد

(١) للكرديزى: زين الأخبار ص ٢٢٧.
(٢) المصدر السابق ص ٢٢٨.

Scanned with OKEN Scanner

٣- الدولة السامانية

٢٦١- ٣٨٩هـ/ ٨٧٤- ٩٩٩م

أقام السامانيون الفرس دولة فى خراسان وبلاد ما وراء النهر على أنقاض الدولة الصفارية، والسامانيون، أصحاب نسب عريق، إذ إن جدهم سامان، ينسب إلى بهرام جور، وكان لأسد بن سامان أربعة أبناء هم، نوح وأحمد ويحيى وإلياس، وقد تجلت شجاعتهم فى عهد الخليفة الرشيد، فحينما خرج عليه رافع بن الليث بن نصر بن سيار فى سمرقند، أعان هؤلاء الأبناء الأربعة، الخليفة فى القضاء على ثورة رافع، وهدأ بال الرشيد بعد إخماد ثورة رافع، إذا كان يخشى أن يستولى رافع على سمرقند، وكان رافع قد استولى على سمرقند سنة ١٩٠هـ- ٨٠٥م، وخلع طاعة الرشيد، ودعا إلى نفسه، وانتدب الرشيد، هرثمة بن أعين - نائبه على العراق لمحاربة رافع، وسار الرشيد إليه كذلك، وهزم رافع سنة ١٩٢هـ- ٨٠٧م(١).

لما ولى المأمون الخلافة، عرف منزلة أبناء أسد بن سامان، وقدر إخلاصهم للخلافة العباسية، فولاهم على سمرقند وفرغانة والشاش وهراة، وكان أكبر هؤلاء الأخوة - والى سمرقند، ولما توفى صارت سمرقند لأخيه أحمد بن أسد، وخلفه عليها ابنه نصر سنة ٢٥١هـ - ٨٦٥م، وكان لقوة أواصر الصلة بين السامانيين أثرها فى ازدياد قوة دولتهم، فقد أخذ الهدوء والطمأنينة يسودان بلادهم، بعد أن كانت تقاسى من الاضطرابات(٢).

ازدادت شهرة السامانيين فى البلاد المجاورة، حتى أن بخارى لما اضطربت أمورها، بسبب كثرة الفتن فيها، وتنازع أهلها فيما بينهم، استنجد فريق من أعيانها بالأمير نصر السامانى فى سمرقند، فأرسل إليهم أخاه إسماعيل، وعلى الرغم من الخلافات التى كانت بين أهل بخارى، فقد أحسنوا جميعا استقبال الأمير السامانى، بل نثروا الذهب والعطايا الثمينة بين يدى هذا الأمير، الذى عرفوا عنه الشجاعة وكرم الأخلاق وأقروه واليا عليهم من قبل أخيه الأمير نصر سنة ٢٦٠هـ- ٨٧٤م، وفى نفس السنة أرسل الخليفة العباسى المعتمد منشور ولاية جميع أعمال ما وراء النهر من جيحون إلى أقصى المشرق للأمير نصر وأقام إسماعيل الخطبة فى بخارى لأخيه الأمير نصر،

---

(١) النرشخى فى تاريخ بخارى ص ١٠٥، ١٠٦.

(٢) فامبرى: تاريخ بخارى ص ٩٥.

ولما توفى الأمير نصر سنة ٢٧٩هـ- ٨٩٢م، ذهب الأمير إسماعيل من بخارى إلى سمرقند، وأرسل الخليفة العباسى المعتضد منشورا بولاية إسماعيل بلاد ما وراء النهر سنة ٢٨٠هـ - ٨٩٣م.

ازدادت الدولة السامانية الناشئة قوة فى عهد الأمير إسماعيل، وعلى الرغم من اعتراف الخلافة العباسية بها، إلا أنها كانت تنظر بعين الشك والريبة إلى تلك الدولة الفتية الناشئة التى أخذت تزداد قوة ونفوذا فى المشرق الإسلامى، لذلك اتخذت الدولة العباسية سياسة ذات وجهين، فبينما فوض الخليفة المعتضد (٢٧٩ - ٢٨٩هـ/ ٨٩٢ - ٩٠٢م) الأمير إسماعيل حكم بلاد ما وراء النهر تآمر عليه سرا، وأرسل إلى عمرو بن الليث الصفار، يحرضه على التخلص من الأمير السامانى، ولعل الخليفة العباسى كان يهدف من ذلك إلى ضرب خصمين قويين له ببعضهما البعض بقصد إضعافهما أو شغلهما عن الزحف إلى دولته. ومهما تكن النتائج، فإن الخليفة العباسى، هو المستفيد من ورائها؛ لأن الحرب بين الخصمين تضعفهما، أو تضعف واحدا منهما على الأقل. وفى ذلك فائدة - كما قلت - للخلافة العباسية. ومهما يكن من أمر، فقد استمرت الحرب بين الأمير الصفارى والأمير السامانى سنين عددا، انتهت بانتصار إسماعيل، وطارد جند إسماعيل، جند الأمير الصفارى حتى اقتربوا من بلخ، فرأوا عمرا مع خادمين، فقبضوا عليه سنة ٢٨٧هـ - ٩٠٠م، وأكرمه الأمير إسماعيل، وقدم له ماء الورد وتعهد له بعدم قتله، ورد إليه أمواله التى نهبت منه فى المعركة وأمر الخليفة العباسى المعتضد، إسماعيل، بإرسال عمرو إليه، فأذعن إسماعيل إلى أمر الخليفة، وأوصى عمرو إسماعيل برعاية أولاده والإحسان إليهم، وبقى فى سجنه فى بغداد عامين حتى مقتله ٢٨٩هـ- ٩٠٢م(١).

قوى مركز إسماعيل السامانى فى المشرق، بعد أن أرسل إليه الخليفة العباسى، تقليدا بحكم خراسان، وصارت كل البلاد من عقبة حلوان وولاية خراسان وما وراء النهر والتركستان والسند وجرجان تابعة له.

حكم إسماعيل دولته الواسعة بالعدل، وعين على كل بلد أميرا، وكان يراقب أمراءه ويعاقب كل من يظلم الرعية، وكان يطيع الخليفة، ويخلص له.

اتخذ إسماعيل من بخارى حاضرة لدولته(٢) وتوفى سنة ٢٩٥هـ- ٩٠٧م وعمرت ولاية ما وراء النهر فى عهده.

---

(١) الطبرى: المصدر السابق حوادث سنة ٢٨٩هـ.

(٢) النرشخى: المصدر السابق ص ١٢٩.

وحذف اسم يعقوب بن الليث من الخطبة. وبذلك آل أمر بخارى إلى السامانيين، بالإضافة إلى سمرقند، بعد أن زال عنهما حكم الصفاريين. ومما زاد فى نفوذ الأمير نصر، اعتراف الخليفة العباسى المعتمد (٢٥٦هـ - ٢٧٩هـ/ ٨٧٠ - ٨٩٢م) بالأمير نصر، إذ أرسل منشورا يقلده حكم بلاد ما وراء النهر، وفوض إليه حكم البلاد الممتدة من شواطئ جيحون حتى أقصى بلاد المشرق(١).

استقرت الأمور فى بخارى بعد أن آلت إلى الدولة السامانية؛ ذلك أن الأمير نصر طهر هذه البلاد من اللصوص وقطاع الطرق وقبض على كبير اللصوص وقتله، وقتل أعوانه وأنصاره الذين زاد خطرهم، واستطار شرهم فى هذه المنطقة التى اضطربت بسبب ضعف الحكم الصفارى، وصد الأمير السامانى الطامعين فى بخارى وسمرقند، فأمن أهل هذه البلاد على أموالهم وأنفسهم(٢).

لم تستمر العلاقات بين الأمير نصر وأخيه إسماعيل على ما كانت عليه من الود والصفاء؛ ذلك أن نصرا فرض على أخيه إسماعيل - والى بخارى من قبله - كل سنة خمسمائة ألف دينار من أموال بخارى، لكن إسماعيل لم يستطع دفع هذا المبلغ بسبب زيادة نفقاته فى الحروب الكثيرة التى خاضها ضد أعدائه الطامعين فى بخارى، فاستاء نصر من أخيه إسماعيل، واعتقد أنه يسعى إلى الاستقلال ببخارى عن دولته الناشئة، فعول على إخضاعه، وسار على رأس جيش كبير، واشتبك الأخوان سنة ٢٧٢هـ-٨٨٥م(٣) فى حرب انتهت بصلح بينهما، بمقتضاه أدى إسماعيل خراج بخارى، وأبقاه نصر فى ولايته. على أن هذا الصلح لم يوضع موضع التنفيذ؛ ذلك أن إسماعيل عاد إلى الامتناع عن دفع الأموال المقررة على بخارى لأخيه نصر، فحارب نصر أخاه إسماعيل لحمله على أداء الأموال المقررة عليه، فهزم إسماعيل أخاه نصر سنة ٢٧٥هـ-٨٨٨م، ووقع نصر أسيرا فى يد أخيه إسماعيل، لكن إسماعيل أحسن إلى أخيه، بل سأله العفو والصفح وقال له إسماعيل: أيها الأمير إنها إرادة الله التى شاءت أن أراك اليوم، وأنت فى الأسر. فرد عليه نصر بقوله: بل هى إرادتك أنت، إذ خرجت على سيدك، وأذنبت بذلك فى حق الله عز وجل، على كل حال أحسن إسماعيل إلى أخيه نصر، وبلغ من حرصه على المحافظة على هيبته أن سيره من فوره إلى حاضرته سمرقند، قبل أن يصلها أبناء الحادث، فلا تتعرض بذلك سمعته فيما وراء النهر إلى شىء من المهانة(٤).

(١) الطبرى: تاريخ الأمم والملوك جـ ٩ ص ٥٩٤.
(٢) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٢٧٥هـ.
(٣) النرشخى: تاريخ بخارى ص ١١٥، ١١٦.
(٤) الطبرى: تاريخ الأمم والملوك حوادث سنة ٢٧٥هـ.

ورق الأمير نصر لأحد أبناء آل الليث حين رآه يعمل عملا بسيطا لا يتناسب مع مكانة أسرته العريقة، فعهد إليه بحكم سجستان وقضى على ثورات عمه وابن عمه فى سمرقند وخراسان، وأحبط محاولات الزيدية الاستقلالية فى طبرستان وبلاد الديلم. وبذلك حافظ على ملك آبائه وأجداده فى بلاد ما وراء النهر وخراسان وفارس وطبرستان وكرمان وجرجان والعراق(١).

وذاع صيت هذا الأمير بفضل انتصاراته الرائعة، واعتمد عليه الخليفة العباسى فى إحباط محاولات الخارجين عليه الاستقلالية. حكم الأمير نصر مدة ثلاثة وثلاثين سنة، وقُتل فى رمضان سنة ٣٣٠هـ- ٩٤١م(٢)، وكان يلقب الأمير السعيد.

لما توفى الأمير نصر، ضعفت الدولة السامانية، حتى أن الأمراء طمعوا فيها، واستقل كل منهم بناحية، فواجه الأمير نوح بن نصر كل هذه الثورات وتصدى لها، فسار إلى نيسابور وقبض على أميرها أبوعلى الأصفهانى، وهزم المتمردين وشتت شملهم، وأسند حكم نيسابور إلى إبراهيم بن سيمجور، كما أن الأمير أبو إسحاق أحمد، سار إلى بخارى، وأظهر العصيان فعاد الأمير نوح بن نصر إلى بخارى، واشتبك مع أبى إسحاق أحمد فى معركة دارت فيها الدائرة على الأمير السامانى، ودخل أبو إسحاق الحاضرة السامانية ظافرا منتصرا سنة ٣٣٥هـ- ٩٤٦م وبايعه جميع أهلها، وقرئت الخطبة فى بخارى باسم أبى إسحاق. على أنه لم ينعم بالحكم طويلا، إذ تمرد عليه جنده، وأعلنوا ولاءهم لأمير البلاد الشرعى - نوح بن نصر، وبذلك فشلت هذه الفتنة، وعاد الأمير نوح إلى حاضرة دولته(٣).

ومن أشد الصعوبات التى واجهت حكم الأمير نوح غزو ركن الدولة البويهى لبلاد الرى، واستيلائه عليها. على أن الجند السامانى بقيادة أبو على طردوه من الرى واستردوها. ثم ثار على سادته السامانيين، واستولى على خراسان، واعترف به الخليفة العباسى. وبذلك انحسر النفوذ السامانى فلم يعد يتجاوز بلاد ما وراء النهر(٤).

ملك الأمير الحميد نوح بن نصر اثنى عشر سنة وتوفى سنة ٣٤٣هـ- ٩٥٤م وقوى فى عهده الأمير التركى البتكين.

---

(١) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٦هـ.

(٢) النرشخى: تاريخ بخارى ص ١٥٠.

(٣) النرشخى: تاريخ بخارى ص ١٥٠.

(٤) فامبرى: تاريخ بخارى ص ١١٣، ١١٤.

٥- الدولة الزيدية فى طبرستان وجرجان وبلاد الديلم

٢٥٠هـ-٣٦٦هـ / ٨٦٤-٩٧٦م

تمهيد:

أطلق العرب اسم طبرستان على «مازندران»، وهى ولاية فى بلاد فارس، وتكتنفها الغابات الكثيفة، وبحر طبرستان من الشمال ومن الجنوب سلسلة جبال البرز، ومن الشرق جرجان. ومن الغرب جيلان ويخترقها عدة نهيرات، والغالب على هذه النواحى الجبال، وأرضها خصبة جيدة المرعى، كثيرة الفاكهة، ونظرا لكثرة غاباتها، فإن أهلها قطعوا الكثير من الأشجار. وعملوا بتصنيع الأخشاب، (وهى من أهم الحرف التى يعمل بها السكان) ومن أهم حاصلاتها الزراعية الأرز والكتان والعنب، ويعملون كذلك بصيد الأسماك وطيور الماء، وقد تخرج من أهل هذه البلاد الكثير من رجال العلم والأدب والفقه، ومن أهم مدن طبرستان آمل وسايه وشلوش ووريان، وقد تنقلت عاصمة طبرستان بين سارية وآمل، وظل أهلها يدينون بالمجوسية بعد الفتح الإسلامى حتى حكمها الأمويون(١).

وبلاد طبرستان خصبة منيعة ، وكان ملوك الفرس يولون الحكم زعماء الوراثيين، ويسمى الواحد منهم أسبهبذ، أى رئيس الجند(٢).

أما جرجان فتقع بين طبرستان وخراسان فى جنوب شرق بحر قزوين، أى فى أقصى شمال بلاد الفرس، ويحد جرجان جنوبا إقليم خراسان، وشرقا إقليم خوارزم وغربا بحر قزوين وإقليم طبرستان(٣). ويعتبر هذا الإقليم من مناطق الديلم عاصمته مدينة جرجان، وقد قيل أن من أحدث بناءها يزيد بن المهلب بن أبى صفرة، وبرز منها الكثير من الأدباء والعلماء والفقهاء والمحدثين، ومن أهم مصنوعاتها الإبريسم وثياب الإبريسم تصدره إلى جميع البلدان، وجرجان على واد عظيم، ويزرع بها الزيتون والجوز والرمان وقصب السكر، وبها عدة أنواع من الأحجار الكريمة.

والجزء الجنوبى من جيلان يسمى بلاد الديلم، ويسكنها قبيلة تعرف أيضا بالديلم، ويحده من الشمال جيلان نفسها، ومن الشرق طبرستان، ومن الغرب أذربيجان

(١) ياقوت : معجم البلدان جـ ٦ ص ١٧ .
(٢) لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ص ٤١٧.
(٣) ياقوت: معجم البلدان جـ ٦ ص ١٧ .

Scanned with OKEN Scanner

وبلاد الرافدين، ومن الجنوب نواحى قزوين، وجزء من الرى، وكان الديلم وثنيين، ومن ثم تعرضوا لغارات النخاسين وظلوا على هذه الحال حتى دخلوا فى الإسلام على أيدى الأئمة العلويين(١).

ظهور الإسلام فى طبرستان وجرجان وبلاد الديلم:

بدأ الفتح الإسلامى لطبرستان وجرجان فى عهد عثمان بن عفان، وكان أول من غزاهم من العرب سعيد بن العاص - والى الكوفة فى عهد عثمان بن عفان، إذ شن على هذه البلاد حملة اشترك فيها بعض الصحابة الأجلاء، ويؤكد البلاذرى(٢)، اشتراك الحسن والحسين فى هذه الحملة، على حين يذكر الطبرى(٣) روايتين، تؤكد إحداهما اشتراكهما ورواية لا تذكرهما، ومهما يكن من أمر فقد فتح سعيد بن العاص بعض بلدان طبرستان واستولى على سهل طبرستان والرويان دنباوند(٤).

ثم سار سعيد إلى جرجان فى مائة ألف من أهل الشام والعراق وخراسان والموالى والمتطوعة، وابتدأ بقهستان فحاصرها، وكان أهلها من الترك، وشدد عليهم الحصار حتى طلبوا الأمان، فعقد معهم صلحا واستولى على المدينة وغنم المسلمون منهم مغانم كثيرة ثم خرج منها إلى جرجان، واستقبله أهلها بالصلح، وأطاعوه وهابوه وصالح ملك جرجان على مائتى ألف درهم(٥) على أن الفتح الإسلامى لطبرستان وجرجان فى عهد الراشدين لم يكن مستقرا، فكانت تؤدى للعرب الإتاوة تارة ولا تؤديها تارة أخرى.

ولما ولى معاوية بن أبى سفيان الخلافة اعتزم إقرار الحكم الإسلامى غير المستقر فى بلاد طبرستان وجرجان، فأرسل حملة بقيادة مصقلة بن هبيرة على رأس جيش عدته عشرة آلاف مقاتل وقيل عشرون ألفا، ولكن هذا الجيش أصيب بهزيمة ساحقة، إذ هلك مصقلة فى ممرات طبرستان، هو والجزء الكبير من جيشه؛ ذلك أن أهلها أهالوا الصخور على المسلمين فمزقوا شر ممزق. على أن هزيمة مصقلة لم تضعف عزيمة المسلمين، فعملوا على تحقيق هدفهم الرامى إلى فتح هذه البلاد وإخضاعها لسلطانهم، فأرسل عبدالله بن زياد والى الكوفة محمد بن الأشعث بن قيس الكندى إلى طبرستان، فعقد مع أهلها صلحا، ولكنهم خدعوه، فلما تم الصلح، وأوغل هو وجيشه فى بلادهم،

(١) المصدر السابق.

(٢) البلاذرى فتوح البلدان ص ٣٤٢.

(٣) تاريخ الأمم والملوك حوادث سنة ٣٠هـ.

(٤) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٣٤٢هـ.

(٥) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ حوادث ٣٠هـ.

انقضوا على القوات الإسلامية وألحقوا بهم الهزيمة[1] وبذلك تكرر فشل العرب فى فتح هذه البلاد.

ولما ولى سليمان بن عبدالملك الخلافة، أرسل يزيد بن المهلب لغزو طبرستان من جديد واستعادتها، واستطاع يزيد أن ينجح فى مهمته، ويعقد صلحا مع الأصبهيذ بمقتضاه يؤدى جزية للمسلمين قدرها أربعة ملايين وسبعمائة ألف درهم، وأن يبعث بأربعين حمل حمار من الزعفران وأربعمائة رجل يحمل كل منهم ترسا وكأسا من الفضة، وقدرا من الحرير واستخلف عليها واليا، وضع الجزية والخراج على أهلها، وصالح يزيد الرويان ودنباوند على مال وثياب وآنية، ثم مضى إلى جرجان - وكانت قد أعلنت العصيان - فدخل المسلمون البلدة واستخلف يزيد عليها واليا ففرض على أهلها الجزية والخراج[2].

ظل أهل طبرستان وجرجان يلتزمون بشروط الصلح أحيانا، ويمتنعون عن تنفيذه أحيانا أخرى، فيحاربون ويسالمون، ولما ولى مروان بن محمد الخلافة نقضوا الصلح وأعلنوا العصيان منتهزين فرصة الاضطرابات التى سادت الدولة الأموية فى أواخر أيامها[3].

ولما قبض العباسيون على زمام الأمور لم يتغاضوا عن انفصال طبرستان وجرجان عن الدولة العربية الإسلامية، فوجه الخليفة المنصور إلى هذه البلاد حملة بقيادة خازن بن زيد التميمى، وبذل هذا القائد جهودا مضنية حتى استولى على هذه البلاد، وتغلب على كل مقاومة اعترضت طريقه[4] وفتح محمد بن موسى بن حفص بن عمر بن العلاء جبال شروين من طبرستان، وهى جبال صعبة المسالك كثيرة الفيافى وذلك فى خلافة المأمون والمعتصم[5].

على أن الحكم الإسلامى فى طبرستان وجرجان لم يقدر له الاستقرار رغم المحاولات المتكررة التى بذلت بعد أن آلت إلى حكم الطاهريين، إذ أتموا فتحها، وتغلبوا على كل مقاومة اعترضتهم فى السهل والجبل، وتولاها عبد الله بن طاهر، وطاهر بن عبد الله[6].

---

(١) الطبرى: تاريخ الأمم والملوك حوادث سنة ٣٠هـ.

(٢) البلاذرى: فتوح البلدان جـ ٣٤٤.

(٣) البلاذرى: فتوح البلدان ص ٣٤٩.

(٤) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٩٨هـ.

(٥) الطبرى: تاريخ الأمم والملوك جـ ٨ ص ٣٩٦.

(٦) البلاذرى: فتوح البلدان ص ٣٤٦.

Scanned with OKEN Scanner

الدولة الغزنوية

٣٥١ـ٥٥٥هـ/ ٩٦٢ـ١١٦٠م

قيام الدولة الغزنوية

اعتمد السامانيون على الترك فى إدارة دولتهم، وكان قوام جيشهم منهم، وولوهم المناصب العسكرية والمدنية الرفيعة، فازداد نفوذهم، وعلا شأنهم فى دولة آل سامان، والمعروف أن الترك مصدر من مصادر القلاقل والاضطرابات فى الدول التى استعانت بهم، ومن بين هذه الدول، الدولة السامانية التى أضعفوها وسعوا إلى زوالها(١).

ومن أبرز هؤلاء الأتراك الذين ارتفع شأنهم فى الدولة السامانية، ألبتكين، كان جنديا فى الجيش السامانى ومازال يرتقى فى سلك الوظائف، حتى ولى منصب حاجب الحجاب، للأمير عبدالملك بن نوح [٣٤٣ـ ٣٥٠هـ / ٩٥٤ ـ ٩٦١م] ومن ثم ارتفع شأنه، وازداد نفوذه فى الدولة السامانية حتى أن الوزير كان يأتمر بأمره ويلتزم بتنفيذ تعليماته(٢).

لم تصف الأمور لألبتكين، إذ خشى الأمير عبدالملك بأسه، وعوّل على إبعاده عن حاضرة دولته، فأسند إليه ولاية خراسان فى عام ٣٤٩هـ-٩٦١م، ولما توفى الأمير عبدالملك سنة ٣٥٠هـ، تشاور الأمراء فى الدولة السامانية مع البتكين ـ الذى كان أكبرهم ـ فيمن يراه مناسبا لتولية أمر الدولة السامانية، فوقع اختيار البتكين على عم الأمير المتوفى، ورفض اختيار منصور بن نوح خلفا لأخيه؛ لأنه شاب حدث لم تحنكه التجارب، على أن اقتراح البتكين لم يُعمل به؛ ذلك أن الأمراء ولوا منصورا دون أن ينتظروا وصول ألبتكين، لذلك نشأ العداء بين الأمير الجديد ـ منصور بين نوح ـ وبين البتكين، الذى رفض اختياره أميرا على البلاد ولم تجد محاولات البتكين التودد للأمير الجديد(٣).

---

(١) عصام الدين الفقى: الدول الإسلامية المستقلة فى الشرق ص ٣٧.

(2) Habib: Sultan Mahmud of Ghaznin. P12.

(٣) النرشخى : تاريخ بخارى ص ١٤٣ .

Scanned with OKEN Scanner

خشي الأمير منصور من انتفاض البتكين وثورته عليه فى خراسان، فاستدعاه إلى بلاطه، فرفض البتكين دعوة الأمير لأنه خشى سوء العاقبة، فعزله منصور من ولاية خراسان فقصد البتكين بلخ، وأرسل إليه الأمير منصور جيشا لإخضاعه وهزم القائد الثائر، فتوجه إلى غزنة، وحاصرها واستولى عليها من حاكمها السامانى أبى بكر لويك، ولم يكتف بذلك بل غزا زابلستان، وأقام بها إمارة مستقلة عن سادته حاضرتها غزنة(١).

على أن الأمير السامانى، منصور بن نوح لم يقف مكتوف اليدين إزاء انتزاع ولاية زابلستان من دولته، فعمل على استردادها، ولكن محاولاته باءت كلها بالفشل(٢). وبذلك قوى شأن البتكين فى ولايته، ووطد نفوذه وسلطانه بها.

ولما توفى البتكين ٣٥٢هـ-٩٦٣م، خلفه فى حكم غزنة، ابنه أبو إسحاق إبراهيم - قائد جيوش خراسان السامانية - غير أنه لم يستطع السيطرة على مقاليد الأمور فى غزنة، إذ ثار عليه أهلها، وطردوه من بلدهم، فاستنجد بالأمير منصور بن نوح، فأمده بجيش مكنه من استرداد غزنة، وحكمها باسم السامانيين. وبذلك استرد السامانيون نفوذهم فى غزنة(٣).

على أن أبا إسحاق مالبث أن توفى، دون أن يترك وريثا يعقبه فى حكم غزنة. فحكمها بلكاتكين - أحد مماليكه - وضرب النقود باسمه سنة ٣٥٩هـ- ٩٦٩م، وخلف بيرى، بلكاتكين - وهو فيما يبدو من أهالى غزنة - غير أنه لم يستطع القيام بأعباء الحكم، فثار عليه الجند، وخلعوا طاعته. ونظروا فيمن يصلح لحكم غزنة، فلم يروا أفضل من سبكتكين لما عرفوه من عقله ودينه وكمال الخلال فيه وصرامته. ومما يجدر ذكره أن سبكتكين - أحد موالى البتكين كان حاجبا لابنه أبى إسحاق وعليه مدار أموره وبيده مناظم شئونه وولى سبكتكين إمارة غزنة ٣٦٦هـ- ٩٧٦م(٤).

كما أفضى الأمر لسبكتكين، استطاع بحسن سياسته وبعد همته، اكتساب محبة الرعية وأمراء البلاد المجاورة، ولم يلبث الخليفة العباسى أن اعترف بحكومته، فاصطبغ حكمه بهذا الاعتراف بالصبغة الشرعية، وتحققت له أمنية طالما اختلجت فى صدره، ولقبه الخليفة ناصر الدولة، وبعث له الخليفة بالعقد والخلع التقليدية. وأصبح سبكتكين

---

(١) النرشخى: المصدر السابق ص ١٤٣.
(٢) العروضى السمرقندى: جهار مقاله ص ٢٣.
(٣) العتبى: تاريخ اليمينى جـ ١ ص ٥٦.
(٤) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٣٦٧.

Scanned with OKEN Scanner

السامانية المتداعية، فهزم القادة السامانيين وأكد سيطرته على خراسان، وانتزعها نهائيا من الدولة السامانية[١].

لم يبق للدولة السامانية بعد انفصال خراسان عنها، سوى بلاد ما وراء النهر، فهاجمها القائد التركى إيلك خان، واستولى على بخارى، وقبض على قادتها، وعلى أميرها عبدالملك بن نوح وبذلك سيطر على بخارى - حاضرة السامانيين[٢] - .

وعلى الرغم من انهيار الدولة السامانية، فإن بعض أمرائها عملوا على استرداد ملكهم السليب، ففى سنة ٣٩٠هـ-٩٩٩م، فر إسماعيل بن نوح السامانى من سجنه، واختفى فى أحد بيوت بخارى، ولما خشى من اكتشاف أمره، فر إلى خوارزم، وتغلب عليها، ولقب بالمنتصر، والتف حوله قادة السامانيين، وجمع غفير من الجند، وتطلعوا إلى عودة دولتهم البائدة وقوتهم الزائلة وأمجاد دولتهم العريقة. وبذلك قوى أمر الأمير السامانى واشتد بأسه. وسعى الأمير وقادته وجنده إلى طرد المغتصبين لبلادهم[٣].

سار الأمير إسماعيل السامانى على رأس جيش إلى سمرقند وهناك هزم قوات إيلك خان - ملك الترك - وغنم مغانم كثيرة، قوى بها بأسه، وعاد إلى بخارى، فرحب به أهلها وفرحوا واستبشروا بعودة السامانيين إلى الحكم[٤]، ثم تطلع الأمير السامانى إلى استرداد البلاد التى انتزعها الترك، فسار إلى ترمذ واستردها، ثم سار إلى نيسابور وكانت فى قبضة الغزنويين - واستولى عليها وانتزعها من الغزنويين.

لما علم السلطان محمود الغزنوى بمحاولة السامانيين استرداد أملاكهم من الغزنويين، خشى العاقبة، وخشى من هذا الخطر الداهم الذى يهدد دولته، ورأى وقف خطر السامانيين على بلادهم، وسار على رأس جيش كبير إلى نيسابور، فلما اقترب منها، غادرها الأمير السامانى الذى خشى العاقبة ولجأ إلى الأمير شمس المعالى قابوس ابن وشمكير صاحب طبرستان وجرجان - فأكرم وفادته، فقد كان من أتباع السامانيين المخلصين[٥].

---

(١) العتبى: المصدر السابق جـ ١ ص ١٩٥.
(٢) النرشخى: المصدر السابق ص ١٤٨.
(٣) ابن الأثير. الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٣٨٩هـ.
(٤) النرشخى: المصدر السابق ص ١٤٨.
(٥) فامبرى: تاريخ بخارى ص ١٢٣.

Scanned with OKEN Scanner

المؤسس الحقيقى للدولة الغزنوية. وعلى الرغم من استقلاله الفعلى فقد ظل يظهر الولاء للسامانيين(١).

لم يكتف سبكتكين بحكم غزنة، بل عمل على توسيع رقعة دولته، فبسط سيطرته على قصدار القريبة من غزنة، كما سيطر على خراسان، وشرع فى غزو أطراف الهند، وسيطر على كثير من المعاقل والحصون هناك «فاتسعت رقعة دولته، وعمرت خزانته، وهابه الناس، وتوفى سنة ٣٨٧هـ- ٩٩٧م. وإليه يرجع الفضل فى وضع أساس إمبراطورية الغزنويين، إذ امتد سلطانه إلى ناحية الهند، حيث أسس بها حكومة قاعدتها بشاور، كما اتسع نفوذه فى المشرق باستيلائه على خراسان وما جاورها(٢).

على أن الدولة الغزنوية كانت لاتزال موالية للسامانيين يلتزمون بالوقوف إلى جانبهم ضد أى اعتداء يقع عليهم، ولما ازداد ضعف السامانيين، وطمع فيهم أمراء البلاد المجاورة، لم ير الغزنويون بدا من الاستيلاء على البقية الباقية من ملك السامانيين، وتوسيع رقعة دولتهم على حساب الدولة السامانية المتداعية(٣).

أغار الترك على بلاد ما وراء النهر، وتمرد أبو على - والى خراسان- من قبل السامانيين - على سادته، فاستنجد الأمير السامانى نوح بن منصور سنة ٣٨٤هـ- ٩٩٤م بالأمير سبكتكين ودرات حرب بين أبى على والقادة المتمردين على الأمير السامانى من ناحية، والأمير السامانى سبكتكين من ناحية أخرى انتهت بهزيمة القادة المتمردين، واسترد الأمير السامانى خراسان وعهد إلى محمود بن سبكتكين بحكم خراسان(٤).

واستطاع الأمير سبكتكين وابنه محمود من إحباط كل محاولة قام بها القادة المتمردون لاسترداد خراسان(٥)، وبذلك أمنت الدولة السامانية من محاولات القادة المنشقين بفضل جهود سبكتكين وابنه محمود.

وتوفى الأمير منصور، فخلفه أخوه عبدالملك فى ملك السامانيين، وكان لا يزال طفلا صغيرا، ولما ازدادت مطامع القادة السامانيين فى الدولة السامانية المتداعية، رأى محمود بن سبكتكين بذل كل جهد فى سبيل توسيع رقعة دولته على حساب الدولة

(١) خوندمير: حبيب السير فى أخبار أفراد البشر جـ ٢ ص ١٨١.
(٢) العتبى: المصدر السابق جـ ١ ص ٣١.
(٣) ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ ٤ ص ٢٦٢.
(٤) النرشخى: المصدر السابق ١٤٦
(٥) المصدر السابق ص ١٤٦.

وهكذا زالت الدولة الغزنوية سنة ٥٥٥هـ-١١٦٠م بعد أن ظلت تحكم أكثر من قرنين، على أيدى الغور الذين اتسعت مملكتهم، وكثر جندهم، واتخذ غياث الدين لنفسه لقب سلطان واعترف الخليفة العباسى به، وأرسل إليه الخلع والهدايا، وأمر بإقامة الخطبة له بالسلطنة، وتلقب غياث الدين والدنيا معين الإسلام، قسيم أمير المؤمنين.

وصفوة القول أن الدولة الغزنوية - التى قامت على أنقاض السامانيين - كان لها نشاط سياسى كبير فى المشرق الإسلامى واستطاع سلاطينها حكم دولة متعددة الأجناس والشعوب بقوة وحزم، وحافظوا على وحدة هذه الدولة رغم المحاولات الانفصالية العديدة، حتى أمن الناس فى ظل الحكومة الغزنوية المستنيرة على أموالهم وممتلكاتهم. ولا يفوتنا أن نذكر أن السلطان محمود الغزنوى - أقوى سلاطين هذه الدولة - يعتبر بحق بطلا من أبطال الإسلام، وسوط عذاب على الكفار الملحدين، حطم الأصنام والتماثيل، ودمر الخرافات والأباطيل، فكان شديد البأس قاسيا على الملحدين وكفار الهنود، فضلا عن أنه كان غازيا لايقهر.

على أن عوامل الضعف والانحلال، عرفت طريقها إلى الدولة الغزنوية، فقوى شأن جيرانها السلاجقة والغور، وقاموا بتوسيع ممتلكاتهم ونفوذهم على حساب هذه الدولة وكان ذلك فرصة للأقاليم والحكام المناوئين لهذه الدولة للاستقلال عنها. فأخذت الدولة تفقد ممتلكاتها رويدا رويدا، حتى قضى الغور فى نهاية الأمر على البقية الباقية من ممتلكاتها.

عاصرت الدولة الغزنوية الدولة السلجوقية، فى المشرق، كما عاصرت الدولة الفاطمية فى مصر والشام، كما عاصرت السنوات الأولى من حكم بنى زيرى للمغرب، وعاصرت دولة الأدارسة فى المغرب الأقصى، وعاصرت الدولة الأموية فى الأندلس والدولة العباسية الأم، والدولة البيزنطية - حامية المسيحية فى الشرق.

* * *

Scanned with OKEN Scanner

ضعف الدولة الغزنوية وانهيارها

ج/ تجمعت عدة عوامل أدت إلى ضعف الدولة الغزنوية وانهيارها، ومن أبرز هذه العوامل، المحاولات المتكررة التى بذلها ولاة الأقاليم فى الدولة الغزنوية للاستقلال بالولايات التى يحكمونها، ولقد بذل السلاطين الغزنويون جهودا مضنية للقضاء على هذه المحاولات الانفصالية، وإن كان الغزنويون قد أحبطوا هذه المحاولات، إلا أنها أنهكت قوى هذه الدولة.

ومن عوامل ضعف هذه الدولة، عدم وجود نظام ثابت لولاية العهد، فأسند السلاطين الغزنويون، أحيانا ولاية العهد إلى الابن الصغير وتخطوا الابن الأكبر، كما رأينا عندما أسند السلطان سبكتكين ولاية عهده إلى ابنه إسماعيل بدلا من محمود، وحدث نفس الشيء، حينما أسند السلطان محمود ولاية عهده لابنه محمد بدلا من مسعود. كل هذه المحاولات أدت إلى وقوع حروب بين أمراء البيت الحاكم، وانقسام شديد بين أمراء آل سبكتكين، وهذا أدى إلى ضعف الدولة الغزنوية؛ لأن ضعف القلب يؤدى إلى ضعف الأطراف.

ومن أكبر عوامل ضعف الدولة الغزنوية، ظهور الأتراك السلاجقة، وارتفاع شأنهم، وازدياد قوتهم، وسعيهم إلى توسيع ممتلكاتهم على حساب الدولة الغزنوية، وانتزعوا إقليم خراسان من الدولة الغزنوية عقب انتصارهم الرائع على الغزنويين فى معركة داندانقان وبلغ من ازدياد نفوذ السلاجقة فى الدولة الغزنوية، أن تدخلوا فى تولية وعزل السلاطين الغزنويين، بل أقيمت الخطبة لبعض سلاطين السلاجقة فى غزنة.

ومن أهم عوامل ضعف وانهيار الدولة الغزنوية، ازدياد نفوذ الغور، وتكوين دولة لهم على أنقاض الدولة الغزنوية واستولى الغور على غزنة - كما رأينا - واستولى غياث الدين الغورى على بقية ملك الغزنويين فى المشرق، وأرسل أخاه شهاب الدين لامتلاك البقية الباقية من ملك الغزنويين فى الهند، فسار إلى لاهور - آخر معاقل الغزنويين - واستولى عليها، وطلب خسروشاه - آخر ملوك الغور - الأمان فأجابه شهاب الدين إلى طلبه، وأرسل شهاب الدين، خسروشاه - آخر سلاطين الغزنويين - إلى أخيه غياث الدين - ملك الغور - ومعه ابنه ملكشاه، حيث أودعهما ملك الغور فى بعض القلاع[1] وبذلك انتهت وزالت الدولة الغزنوية.

---

(1) Lane Poole: IBID-P.149.

الدولة الخوارزمية

[٥٩٠هـ / ١١٩٣م-٦٢٨هـ / ١٢٣١م]

يقع إقليم خوارزم فى شرق الدولة الإسلامية، وحدوده من الغرب، بلاد الترك الغربية، ومن الجنوب خراسان، ومن الشرق بلاد ما وراء النهر، ومن الشمال بلاد الترك أيضا، وكان هذا الإقليم من ولايات الاتحاد السوفيتى، وهذا الإقليم الآن موزع بين الجمهوريتين الإسلاميتين أوزبكستان وتركستان.

كان إقليم خوارزم ضمن الدولة الإسلامية الكبرى، وحكمهم المسلمون فى عصرهم الأول، وفى العصر العباسى الثانى، عصر الدول المستقلة، حكمه الطاهريون والصفاريون والسامانيون والغزنويون والسلاجقة.

ولما ضعفت الدولة السلجوقية، برز فى الحياة السياسية القادة الترك، ومن بينهم أنوشتكين - أحد عبيد السلطان السلجوقى ملكشاه، وكان يشغل وظيفة الساقى، ومازال يترقى فى سلك الوظائف بسبب مهارته وأمانته، وقد أدب ابنه محمد وأحسن تأديبه، وأعده لتولية المناصب الرفيعة فى الدولة السلجوقية المتداعية، ووقع اختيار أحد قادة السلطان السلجوقى بركياروق عليه، ليكون حاكما على إقليم خوارزم، ولقبه خوارزمشاه، أى ملك خوارزم سنة ٤٩٠هـ وكان حاكما عادلا، أصلح أمور إقليم خوارزم، وقرّب أهل العلم والدين، فازداد ذكره حسنا ومحله علوا، ولما ولى السلطان السلجوقى سنجر - خراسان - أقر محمد خوارزمشاه على إقليم خوارزم وأعمالها، فظهرت شجاعته ومكانته وكفايته، لذلك نال تقدير السلطان سنجر.

لما قوى محمد بن أنوشتكين، ولى ابنه أتسز، فعم ظلال الأمن فى البلاد، ونشر العدل بين الناس، وقربه إلى السلطان سنجر، واستصحبه فى حروبه وأسفاره، فظهرت منه الكفاية والشهامة، ولكنه طمع فى الاستقلال بإقليم خوارزم - الذى كان يحكمه باسم السلطان سنجر - وأعلن استقلاله عن الدولة السلجوقية. على أن سنجر سار إلى خوارزم، وعهد إلى أخيه - أى أخ أتسز - بحكم خوارزم - وعاد إلى خراسان(١).

(١) تاريخ كزيده ص ١٧٨.

Scanned with OKEN Scanner

سعى أتسز إلى الاستقلال من جديد، وأعد العدة لذلك وقوى من شأن جيشه. ولما قوى بأسه، وشعر بقوته، استقل بإقليم خوارزم سنة ٥٣٥هـ- ١١٤١م. لذلك اعتزم سنجر إحباط محاولته الاستقلالية عن دولته، وخرج فعلا على رأس جيشه من خراسان متوجها إلى خوارزم، فخشى أتسز بأس السلطان وعرض عليه الصلح، وتوسل إليه بالكف عنه.

أرسل السلطان سنجر إلى أتسز يتوعده ويقول: إنك تطلب الصلح فى حالة العجز، وتنقض العهد فى وقت الأمن وليس ذلك صفة ملك أوسيرة سلطان. ودبر أتسز مؤامرة لاغتيال السلطان سنجر، فعلم بها السلطان، وتوجه إلى خوارزم للانتقام من أتسز(١).

على أن شيوخ وفقهاء وعلماء خوارزم، توجهوا إلى السلطان سنجر، وطلبوا منه العفو والصفح، فاستجاب لهم السلطان،وعفا عن أتسز، ودخل أتسز فى خدمة السلطان، وأقره فى ملكه. على أن أتسز لم يلبث أن قوى شأنه، ووسع أملاكه، وضم إليها جند وغيرها من البلاد.

تطورت الأحداث السياسية فى المشرق الإسلامى لحساب أتسز؛ ذلك أن السلطان سنجر وقع فى أسر الغز فاستنجد أهل خراسان بأتسز. وبذلك أتيحت له الفرصة لتوسيع رقعة دولته، وتحقيق أمنيته فى الاستقلال، وتكوين دولة قوية على حساب الدولة السلجوقية المتداعية، على أن القدر حال بين أتسز وبين تحقيق غايته، فقد توفى سنة ٥٥١هـ- ١١٥٦م.

وأنشد رشيد الوطواط - شاعر القصر أثناء تشييع جنازة أتسز يقول:

كان الفلك يرتعد من شدة قهرك وينقاد لك على طواعية وخضوع

فأين صاحب النظر حتى ينظر، وهل كان هذا الملك جميعه يساوى هذا(٢).

بعد وفاة أتسز، تنافس بعض الأمراء وبعض القادة حول تولية حكم خوارزم، فاضطر إيل أرسلان الذى خلف أباه، إلى التخلص من منافسيه، ووضع عمه سليمان فى السجن وفى عهده مات السلطان سنجر، وتمكن إيل أرسلان من السيطرة على بعض بلاد خراسان وما وراء النهر. وبذلك اتسعت الدولة الخوارزمية، وأدى اقترابه من الختا - حكام بلاد ما وراء النهر إلى حروب بينه وبينهم، هزم فيها، وتوفى على أثر ذلك سنة ٥٥٨هـ- ١١٦٣م(٣).

(١) المصدر السابق ص١٨٤.

(٢) المصدر السابق ص١٨٥.

(٣) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٥٨هـ.

السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه

[٥٩٦-٦١٧هـ/ ١٢٠٠م-١٢٢١م]

لما ولى علاء الدين محمد خوارزمشاه حكم الدولة الخوارزمية واجه صعوبات كثيرة فى تأكيد استقرار دولته وحمايتها من الاعتداءات الخارجية، فضلا عن رغبته فى توسيع رقعة دولته، وواجه خصمين عنيدين هما الغور والخطا.

تكلمنا عن قيام دولة الغور على أنقاض الدولة الغزنوية المتداعية، ونتكلم الآن عن تطور العلاقات الخوارزمية الغورية.

بعد تولية السلطان علاء الدين محمد الحكم، أغار الغور على مرو وطوس بجيش قوى يضم ستين فيلا. وبذلك هددوا إقليم خراسان، ولكن السلطان الخوارزمى لم يتغاض عن غارات الغور على إقليم خراسان التابع له، بل سار بجيش قوى إلى خراسان، وهزم الغور، واسترد البلاد التى انتزعوها، وما زال يطاردهم ويتعقبهم حتى طلبوا الأمان والعفو والصفح، فصالحهم، وغادروا إقليم خراسان وبذلك عادت خراسان كلها إلى حوزة الخوارزميين، وأنهى غارات الغور على مرو وسرخس وسائر إقليم خراسان، وظهر هراة ومرو وطوس من بقايا الغوريين، وشتت شملهم وطلب والى هراة الغورى الدخول فى طاعة السلطان الخوارزمى فأبقاه فى هراة، وفرض عليه غرامة مالية، فتعسف مع الناس فى جباية الأموال، ولما علم السلطان بذلك تنازل عن الأموال التى قررها فى الصلح مقابل التخفيف عن الناس(١).

وبعد أن استولى علاء الدين خوارزمشاه على هراة اتجه إلى بادغيس - من أعمال أفغانستان، واستولى عليها، ثم أقر الأمور فى مرو.

على أن شهاب الدين الغورى، اعتزم استرداد خراسان من الخوارزميين، فسار إلى خوارزم بجيش كبير، يضم عددا من الفيلة. هنا أدرك السلطان الخوارزمى الخطر الذى حاق بدولته، والتهديد الذى تعرضت له فى عقر دارها، فأعلن الجهاد، ونادى الشيوخ والفقهاء فى المساجد بالجهاد، والذود عن الوطن ضد العدو، فتجمع عدد غفير من الشباب، وقبلوا نداء الجهاد، وتجمع لدى السلطان الخوارزمى جيش قوى.

(١) عطا ملك جوينى فى تاريخ جهانكشاى جـ٤ ص٣٩٧.

هاجم السلطان الخوارزمى جند الغور، وأوقعوا بهم الهزيمة، وفر الغور لا يلوون على شىء، فتعقبهم جيش الخطا، ومازالوا يقتلون فى جند الغور حتى طلب شهاب الدين الغورى - سلطان الغور - الصلح، وعرض أموالا وأسلحة، حتى يكف عنه الغور(١).

لذلك صالح شهاب الدين الغورى - بعد ضعفه، السلطان علاء الدين الخوارزمى، ولكنه كان يضمر هدنة يعد فيها العدة لاسترداد خراسان، وفعلا شدد بعض هجماته على مرو وأبيورد وبلخ - من إقليم خراسان (٢).

ضعفت دولة الغور بعد وفاة شهاب الدين الغورى وانقسمت إلى دويلات، يحكم كل منها أمير، وتنافس الأمراء وضعفت البلاد، واختل الأمن والنظام، وساءت الأحوال الاقتصادية، فتطلع الناس إلى حاكم قوى، يعيد إلى البلاد أمنها وسلامتها، فراسلوا السلطان علاء الدين محمد، وطلبوا منه ضم بلادهم إلى دولته، فوجد السلطان علاء الدين محمد الفرصة مواتية لتحقيق رغباته التوسعية، فسار إلى غزنة، ومنها إلى فيروز كوه - عاصمة الغور وهراة وباقى إقليم خراسان، وضم كل هذه البلاد الواسعة إلى دولته، واستسلمت بلخ، وقدم حماة قلعتها مفاتيحها إليه، واستسلمت بامبان ومروهراة وفيروز كوه، ورحب الناس بمقدم السلطان الخوارزمى، وأقاموا الزينات فرحا بمقدمه، وقدموا له فروض الولاء والطاعة، واستسلمت سجستان وكرمان سنة ٦٠٣هـ-١٢٠٦م(٣). وبذلك اتسعت الدولة الخوارزمية، فشملت كل إقليم خراسان وكرمان وسجستان، وأقيمت الخطبة باسم السلطان فى هذه البلاد، ونُقشت العملة باسمه، وأنهى السلطان الخوارزمى كل حركات العصيان فى هذه البلاد، ومنها حركة ابن خرميل الذى عهد إليه السلطان الخوارزمى بحكم منطقة هراة، وقضى كذلك على كل حركة مضادة لنظام حكمه. وبذلك عاد الهدوء والسلام إلى إقليم خراسان فى ظل الحكم الخوارزمى بعد أن عانى أهلها كثيرا من الاضطرابات، وتحسنت أحوالهم المعيشية.

وفى سنة ٦٠٤هـ- ١٢٠٧م استولى خوارزمشاه على الطالقان ونيسابور سنة ٦٠٤هـ-١٢٠٧م. على أن كزلى الذى ولى هراة بعد ابن خرميل، حاول الاستقلال عن الدولة الخوارزمية ولكن السلطان الخوارزمى أحبط محاولته، وفشلت محاولات مازندران وكرمان الاستقلالية فى نفس السنة.

---

(١) المصدر السابق جـ٢ ص٣٠٠.

(٢) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٦٠٣هـ.

(٣) الجوينى: المصدر السابق جـ٢ ص٣١٤.

Scanned with OKEN Scanner

نقول هذا وإن كنا لا نملك نصا ، ولا نعلم شيئا مؤكدا عن الاتفاق بين الخليفة هارون الرشيد وإبراهيم بن الاغلب ، وكلامنا هنا قائم على ما ورد فى مراجعنا عن هذا الاتفاق وهـو قليل . ذلك أن تاريخنا الإسلامى يخلو من الوثـائق الرسمية فى معظم عصور تاريخه ، وكل ما تقوله المراجع هو ما ذكرناه من أن هارون الرشيد استجاب لطلب إبراهيم بن الأغلب فى أن يقيمه عـاملاً شبه مستقر على المغرب على الشروط التى ذكرناها . ويبدو أن هـرثمة بن أعين كان له دور فى ذلك ، وقد أعجب بإبراهيم بن الاغلب ووثق فيه وفى إخلاصـه لبيت بنى العباس ، وكان إبراهيم بن الأغلب من أهل الولاء لبيت الخلافـة ، وكذلك كان أبوه الاغلب بن سـالم بن عقال وهو من تميم ، القبيلة العـربية الكبيرة . وكان كما قلنا من كبار جنـد مصر وندبه الخليفة مع محمد بن مقاتل العكى الذى أرسله إلى أفريقية ليحارب الخوارج .

وقـد قتل الأغلب بن سالم بن عقـال فى الصراع بين رجـال الدولـة العباسيـة

CamScanner

الاغالبة

والخوارج ، وكان ابنـه إبراهيم مقيماً فى إقليم الزاب مع قـومه من تميم ، فلما قتل أبوه أصبح هو والياً على الزاب ، وكان شابـاً نشيطاً ذكياً أعجب به هرثمة بن أعين لنشاطه وذكائه وفصاحته . ويبدو أن هرثمـة هو الذى توسط بين هارون الرشيد وإبراهيم بن الأغلب ، وكانت الخلافة العباسية قد أعيتها الحيلة فى شأن أفريقية ، وتمكنت بعد جهـود مضنية من المحافظـة عليها فى إطار السنة والجماعـة وإبعاد الخوارج عنها . وكان إبـراهيم بن الاغلب شاباً طمـوحاً يرى نفسه أهـلاً للولاية ، وطمحت نفسه إلى الانفراد بشئـون أفريقية مع بقائه على الـولاء للبيت العباسى . واتفق طموحه مع ما كانت الدولة العبـاسية تسعى إليه من وضع أمور أفريقية فى يد أمينة وتستريح من تكـاليف نفقاتها عليها ، وهى جد ثقيلـة كما رأينا . على هذا الأساس تم الاتفاق بين إبراهيم بن الاغلب وهارون الرشيد .

.....

Scanned with OKEN Scanner

الاغالبة

دولـــة الأغالبـــة فـى أفريقـية

(١٨٤-٢٩٦ هـ / ٨٠٠-٩٠٩ م)

كان قيام دولة الاغالبة فى افريقيـة ، التى كانت تتكون من طرابلس وافريقية وجزء من المغرب الاوسط هو إقليم الزاب ، تجربة جديدة فى نظم الحكم الإسلامية فللمرة الأولى تعهـد الخلافة إلى رجل من المغـرب فى الانفراد بولايـة من ولاياتها ، ليحكمها حكماً شبه مستقل فى نظير مبلغ قليل من المال ، إلى جانب التعهد بالبقاء على الطاعة والولاء للدولة العباسية . وقد وافقت هذه الأخيرة على أن تجعل الولاية وقفاً على أهل بيت ذلك الرجل ، يتوارثـونها فيما بينهم ، ماداموا على الولاء الكامل للبيت العباسى ، والشرط الوحيد الذى اشترطتـه الخلافة العباسية هو البقاء على الطاعة بكل معناها وشكلياتها ، وكذلك حمايـة حدود الدولة العباسية من الناحية الغربية ، التى وقفت بصورة رسمية عند المجرى الأعلى لنهر شلف ، الذى يجرى من الجنوب إلى الشمال جنوبى مدينة الجزائر الحالية .

CamScanner

Scanned with OKEN Scanner

نهاية جلال الدين خوارزمشاه

خلف أجتاى، جنكيزخان، وعوّل على استرداد البلاد التى آلت إلى جلال الدين، وسيّر جيشا كبيرا إلى الرى، فانتزعها واستولى على همذان ٦٢٨هـ- ١٢٣١م، وطارد المغول السلطان جلال الدين، وتعقبوه فى موقان وتبريز وفى أذربيجان، واتجه إلى آمد، فهزمه المغول، وشردوا رجاله، وقاتل المغول كل من تتبعه فى ضراوة، وظل السلطان يتنقل من بلد إلى بلد، والمغول تلاحقه أينما سار واتجه، حتى وصل إلى جبال كردستان، وقد شك فيه بعض الأكراد، وأخذوه وسلبوا ملابسه كعادتهم بسائر من يظفروا به، فحين هموا بقتله، قال لكبيرهم سرا: إنى أنا السلطان، فلا تستعجل فى أمرى، ولك الخيار فى إحضارى عند الملك المظفر شهاب الدين، أو إيصالى إلى بعض بلادى فتصير ملكا. فرغب الرجل فى إيصاله إلى بلاده،وتركه عند امرأته ومضى بنفسه إلى الجبل لإحضار خيله، ولكن رجلا من الأكراد هاجم المنزل الذى به السلطان،وقتله بعد أن تعرف عليه ثأرا لمقتل أخ له على يديه سنة ٦٢٨- ١٢٣١م.

وهكذا كان مصير هذا السلطان الشجاع. وبوفاته زالت الدولة الخوارزمية.

وفى تقييمنا لجلال الدين منكبرتى، نرى أن هذا السلطان، أوتى من الشجاعة والقوة والصبر والإصرار والمثابرة وخفة الحركة وقوة العزيمة والذكاء مالا يتوفر إلا فى القليل من الناس، فحارب مع أبيه، وبعد أن تولى السلطنة، وظل طوال حياته يتنقل من بلد إلى بلد يحارب ويقاوم الغزو المغولى المدمر، ويقاوم المسلمين الذين ناصبوه العداء. الكل يتآمر ضده: المغول والمسلمون وغير المسلمين، القادة يتخلون عنه فى ميادين القتال، الجند ينسحبون من جيشه، البلاد مدمرة والحصون مهدمة، والمحاصيل تالفة، والفلاحون تركوا الزراعة وهربوا من الحقول فى هذا العصر المضطرب والحيوانات تموت جوعا، والجثث تنتشر فى الطرقات، والأوبئة والمجاعات تفتك بالناس، والخيول - التى هى عماد الحرب - لا تجد ما تأكله، والأراضى يغطيها الجليد، والثلج يتساقط فوق رءوس الجند، والسلطان القوى يتحمل كل هذه الأهوال ويحارب ولا يتقاعس، ولا يعطى لنفسه قدرا من الراحة، وإذا كان السلطان عنيفا مع خصومه، فهذه طبيعة العصر، العنف والقسوة وأعجب بشجاعته أقوى خصومه، جنكيزخان، وقال: هكذا يكون الرجال الشجعان، وحين كان يقاومه شعب من الشعوب، يقاومه بكل عنف وضراوة، وكانت حركاته السريعة فى أنحاء العالم الإسلامى موضع إعجاب وتقدير خصومه وأعدائه على السواء، حتى كان يوم موته يوما تأثر به كل مسلم، ونسجوا الأساطير

الدولة الخوارزمية فى عهد جلال الدين منكبرتى

كان جلال الدين منكبرتى ملازما لأبيه، قائدا شجاعا قديرا على الحرب والقتال، أما إخوته فقد انغمسوا فى الترف والملذات ولم يشتركوا فى الحروب الطاحنة التى خاضها والدهم علاء الدين محمد وخصوصا مع المغول. وكان جلال الدين يقول لوالده: لو أجهدك الحرب والقتال، فاترك لى قيادة الجيش الجرار، وسيرى منى ما يرهبه، وسأجعل من العدو عبرة للخلائق، وأغرقه فى مستنقع الدم، وأتدارك خطوب الدهر العابثة.

وفى هذه الظروف المضطربة - التى سنشير إليها - حيث المغول يشنون حربا ضارية ضد الخوارزميين، بايع علاء الدين محمد تحت تأثير أمه تركان خاتون، ابنه الطفل أزلاق، بدلا من جلال الدين، وبايع كثير من رجال الدولة هذا الطفل، غير مبالين بمصلحة البلاد، وكل ما يهمهم أن يحققوا آمالهم فى ظل هذا الطفل، بدلا من جلال الدين القوى(١).

المغول والعالم الإسلامى

نشأ المغول فى صحراء جوبى القاحلة - وهم شعب يشبه الترك فى اللغة والمظهر العام، وعاش هؤلاء القوم فى بلادهم فى شظف من العيش، ويحد بلادهم شرقا، ولاية الخطا، وغربا ولاية الأويغور، وشمالا القرغيز وسلنكاى، وجنوبا قبائل التنكت والتبت، كل قبيلة أو أكثر لها رئيس، وكانت هذه القبائل فى نزاع مع بعضها البعض، وكانوا يعيشون على الصيد، ومن عاداتهم السرقة والعنف والفجور، يدينون بالولاء لملك الخطا، يقدمون له ما يأمرهم به، لباسهم جلود الكلاب والجرذان، وطعامهم لحوم الحيوانات بما فيها الكلاب، وشرابهم ألبان البهائم، ويأكلون من ثمار الأشجار التى تنمو فى بلادهم. وجو بلادهم، برد قارس، وعلى ذلك فهم يعيشون فى شظف من العيش، وأتقنوا ركوب الخيل وأساليب الفروسية(٢).

ظلت هذه القبائل المغولية، تعيش فى حروب ومنازعات حتى ظهر منهم شاب فى ريعان شبابه الغض هو تيموجين -، ومعناها الحديد، كان أبوه خانا لبعض قبائل المغول وانفضت القبائل من حول أسرته، وكان على تيموجين أن يلتمس الرزق لأسرته، فقام بالعمل الشاق لأهل الاستبس، وهو الصيد، وكان يقطع مئات الأميال على ظهر فرس الاستبس الصغير من الفجر حتى المساء دون توقف إلا لفترات قليلة للرعى،

(١) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٦٠٩هـ.

(٢) الجوينى: المصدر السابق جـ ص ٦٠.

الاغالبة

حكم إبراهيم بن الأغلب :

حكم إبـراهيم بن الأغلب من ١٨٤ـ١٩٦ هـ / ٨٠٠ـ٨١٢ م، وقـد حكم أفـريقيـة فى ظروف عسيرة، فلـم يكن له من سنـد عسكـرى إلا قـوة يسيرة من التميميين والجند الخراسانيين، وكان خصومه كثيرين من العرب البلديين، الذين لم يوافق أحد منهم على الإقرار له بتلك الرياسة، وأعلنوا عليه حرباً عنيفة طويلة، ظلت مستمرة طـوال العصر الأغلبى الذى دام أكثر من مـائة سنة، إذ ينتهى حكم بنى الأغلب سنة ٢٩٦ هـ/ ٩٠٩م على يد الفـاطميين. ومن أكبر أولئك الخصوم الحسن بن حرب الكنـدى وعمران بن مجالـد الربعى، وقد تمكن إبـراهيم بن الأغلب من القضاء على نفـر كبير من رؤسائهم بعد جهد شـديد، ولكنه لم يقض

CamScanner

الاغالبة

على روح التمـرد والعصيـان عليه وعلى ال بيتـه، التى انتشرت فى رؤسـاء جنـد أفريقية العربى ومن انضم إليهم من العرب الـذين تحولوا إلى عرب بلديين، وظلوا يتصورون أنهم أحق من غيرهم بحكم أفريقية. وكان الاتفاق بين الخليفة هارون الـرشيد وإبـراهيم بن الأغلب يقضى بأن يـؤدى إبـراهيم ٤٠,٠٠٠ أربعين ألف دينار فى السنة، ويستغنى عن ١٠٠,٠٠٠ مائة ألف دينـار كانت ترسل من مصر معونة لوالى أفريقية، فكان كل خراج أفـريقية الذى كان يعود إلى الدولة العباسية ١٤٠,٠٠٠ مـائة وأربعين ألف دينار، وهـو مبلغ زهيـد جداً، ولكن إبـراهيم بن

CamScann

Scanned with OKEN Scanner

الاغالبة

الأغلب اجتهد فى استخراج مال كثير من أفريقيـة ، حتى بلغ إيراده فيما يقال نحو المليونين من الدنانير فى السنة ، وهذا المال كان عماد قوة إبراهيم بن الأغلب . وهذا الفارق الجسيم بين مـا كان الولاة يرسلونـه إلى الخلافة من خراج أفـريقية ، وما كان يتحصل منها فعـلاً ، يعطينا فكرة عن « أمانة » الـولاة فى تلك العصور أو قلة أمانتهم بتعبير أصح .

وقـد اتجه نظر إبـراهيم بن الأغلب مـن أول الأمر إلى إقـامـة قـوة عسكريـة يستطيع الاعتماد عليها ، إذ أنه لم يكن يستطيـع الاعتماد على الجند الخراسانى ، وكان التميميون قليلين ، رغم أنه وفدت منهم ألوف كثيرة إلى أفريقية أيام الأغالبة ولكن خصومه كـانوا يعتمدون أيضاً على قوى عسكرية قبليـة لا تقل عن قواته ، فكان همه الأول هو إنشاء قـوة عسكرية خاصة به بـا لمال . وقد تكونت تلك القوة العســكرية من عنصرين :

CamScanner

الاغالبة

(أ) البربر المستعربة : الذين عملوا جنداً مرتزقة فى الجيش الأغلبى .

(ب) ثم الصقالبة : وهم جند من أصل أوربى كـانوا يشترون صغاراً من تجار الـرقيق الذين يجلبـونهم من أوربـا ويربـون تـربية عـربيـة إسلاميـة ، ويتخذون بعـد ذلك جنـداً وخدمـاً للدولـة فى القصور والـوظائف . وقـد استكثر إبراهيم بن الأغلب من هؤلاء جميعاً ، وأضـاف إليهم بعد ذلك قوة من السود . ولم يطمئن على حكمـه إلا بعد أن تم لـه إنشاء هـذه القوة ، خلال السنـوات الأولى من حكمه فى أفريقية .

Scanned with OKEN Scanner

الاغالبة

وينقسم تاريخ العصر الاغلبى فى جملته إلى ثلاث فترات : فترة التأسيس من ١٨٤ ـ ٢٢٣ هـ / ٨٠٠ ـ ٨٣٨ م ، وتشمل إمارات إبراهيم بن الاغلب وابنيه أبى العباس وزيادة الله عصر الازدهار والاستقرار النسبى من ٢٢٦ ـ ٢٨٩ هـ / ٨٤٠ ـ ٩٠٢م ، وتمتد من نهاية حكم زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب المعروف بالأول من سنة ٢٠١ هـ / ٨١٦ م إلى نهاية حكم أبى عبد الله محمد (الثانى) ثامن أمراء البيت الاغلبى ، الملقب بأبى الغرانيق لولعه بصيدها ، وذلك فى سنة ٢٦١هـ / ٨٧٥م . وقد تضمنت هذه الفترة حكم عدد من أواسط أمراء البيت الاغلبى من حيث الملكات ، ولكن الامور كانت قد استقرت وهدأت أحوال أفريقية بصورة عامة .

CamScanner

الاغالبة

ويرجع معظم السبب فى ذلك إلى فتح صقلية الذى فتح مجالا واسعا أمام الجند وزعمائهم للغزو والحصول على المغانم ، تاركين أمراء بنى الأغلب فى سلام ثم جاء حكم إبراهيم بن أحمد ، معلناً بداية التدهور ، ثم تلى ذلك فترة التدهور وتستمر من ٢٨٩ ـ ٢٩٦ هـ / ٩٠٢ ـ ٩٠٩م . ولكن فترة الاستقرار الحقيقية التى يمكن أن تسمى فترة ازدهار للأسرة لم تزد على ثلاثين سنة على الاكثر . ولكن هذه الأسرة ، على الرغم من قصر مدة الاستقرار فى أيامها ، فإنها تعتبر صاحبة الفضل فى إرساء أسس أفريقية الإسلامية وظهور شخصيتها بما تميزت به من خصائص ، لأن شعب أفريقية الإسلامية الذى أوجزنا الحديث عن جهاده فى سبيل الحفاظ على مذهب السنة والجماعة والبقاء فى نطاق الأمة الإسلامية

CamScanner

Scanned with OKEN Scanner

العامة ، كان فى حاجة إلى فترة استقرار طويلة بعض الشىء ، كى تثبت القواعد الاجتماعية والحضارية التى تمكن من تكوينها والحفاظ عليها خلال اضطرابات عصر الولاة وما وقع فيها من الانقلابات وتغير الأحوال . وقد أتاح له بنو الاغلب فرصة هذا الاستقرار ، وأقاموا فى بلاده حكومة محلية ذات طابع أفريقى ، ثم إن بنى الاغلب كانت فيهم عروبة صادقة واهتمام بشئون العلم والحضارة والمنشآت ، فكان العصر فى جملته ، رغم كثرة حروبه واضطراباته ، خيراً على أفريقية ، وخطوة واسعة إلى الأمام فى بقاء المغرب الإسلامى .

وقد تكلمنا عن إبراهيم بن الاغلب ، وسنتكلم الآن عن اثنين من أمراء البيت

وحة طوليا بـ CamScanner

الاغلبى هما زيادة الله بن الاغلب وإبراهيم بن أحمد ، إذ لا يتسع المجال للتحدث عن بقية أمراء هذا البيت .

زيادة الله بن الأغلب ٢٠١ - ٢٢٣هـ/ ٨١٦ - ٨٣٨ م :

بعد وفاة إبراهيم بن الاغلب خلفه ابنه أبو العباس ، ولم تدم له الإمارة طويلاً فجاء بعده أخوه زيادة الله . وزيادة الله كان أميراً قادراً ولكن مشكلته الكبرى كانت جنده الذى استكثر منهم أبوه إلى درجة زادت على الحاجة . وتكلف ذلك الجند المال الطائل ، يضاف إلى ذلك أن جند البربر كانوا قد تكاثروا مع الزمن وزادوا على الحاجة وثقلت نفقاتهم وبدأوا يشغبون على الدولة ، فوجد زيادة الله نفسه أمام حشد هائل من الجند ، لا عمل لهم فى الحقيقة ورواتبهم فى زيادة ونوعهم فى تدهور فكان لابد له من أن يفكر فى مخرج من تلك الأزمة ، بإيجاد مجال لنشاط هؤلاء الجنود . وتلك هى المقدمة الأولى لفتح صقلية على أيامه .

CamScanner

Scanned with OKEN Scanner

اسباب معركة الزلاقة ؟

١ _استهزاء الفونسو السادس بقوة العرب المسلمين .
٢ _المبالغة في اخذ الجزية وقيامه باستقطاع عدد من المدن و القلاع و الحصون .

نتائج معركة الزلاقة ؟

١ _انتصار المسلمين على الاسبان في هذه المعركة .
٢ _توقف ملوك الطوائف عن دفع الجزية الفونسو .
٣ _انقذت هذه المعركة مدن الاندلس من غارات الفوسو .
٤ _ان هذا الانتصار انعش آمال اهل الاندلس و رفع معنوياتهم .
٥ _اضطر الفونسو السادس الى رفع الحصار الذي كان يضربه على مدينة سرقسطة

حصن البيط :و هي احدى حلقات الصراع الذي دار بين المرابطين و بين الاسبان في الأندلس حيث حاصر المسلمين حصن البيط عام ٤٨١ هجرية لمدة اربعة اشهر و انتهى الحصار دون و قوع مناوشات بين الطرفين حتى انسحب المسلمين بسبب حلول فصل الشتاء.

اسباب الحصار ؟

١ _شن غارات على مدن الاندلس من قبل القشتاليين .
٢ _عرقلة تجارتهم و خاصة القوافل التجارية المارة إلى مدينة مرسية و لورقة .

نتائج الحصار ؟

١ _اكتشف أمير المرابطين يوسف بن تاشفين الخلافات العميقة بين ملوك الطوائف التي توحدها ظاهرياً مخاطر الإسبان.
٢ _التعاون السري بين بعض ملوك الطوائف و الفونسو السادس .

عمر طه العيدان

@a15_mr
@15a_b
Scanned with OKEN Scanner

ان فترة تحول الاندلس الى ولاية مرابطية مرت بمراحل .

ما هي المراحل التي مرت بها الاندلس في فترة تحولها الى ولاية مرابطية ؟

١_الجهاد المشترك بين المرابطين وملوك الطوائف ضد الممالك الاسبانية.

٢_خلع ملوك الطوائف وتوحيد الاندلس تحت سيادة المرابطين

تكلم عن الجهاد المشترك بين المرابطين وملوك الطوائف ضد الممالك الاسبانية مع ذكر الشواهد التاريخية ؟

كانت الخطوة الاولى التي اتخذها امير المرابطين يوسف بن تاشفين في هذا المجال هي العبور بقواته إلى الاندلس سنة ٤٧٩ هجرية من اجل نصرة اهل الاندلس ،و الاعداد لارجاع مدينة طليطلة إلى دولة الإسلام رحب ملوك الطوائف بهذه الخطوة وساهموا بقواتهم من اجل الجهاد في سبيل الله و إنقاذ الاندلس من خطر الاسبان ،و بعد ان وحدوا الجهود سارت القوات المشتركة صوب سهل الزلاقة بروح جهادية عالية تمني النفس (بالنصر او الاستشهاد في سبيل الله) و في الوقت نفسه كان الفونسو محاصراً مدينة سرقسطة قاعدة بني هود فلما وصلت إلى مسامعه هذه الاستعدادات الاسلامية ترك حصار سرقسطة وسار بقواته صوب بطليوس واستنجد بدول اوربا التي سارعت بارسال الإمدادات و بعد استعداد الطرفين العسكرية و قعت معركة الزلاقة في يوم الجمعة عام ٤٧٩ انهزمت فيها قوى الاسبان و الاوربيين و طعن الفونسو ملك قشتالة و هرب مع جنوده إلى طليطلة وكانت معركة الزلاقة مع المعارك المهمة في الاندلس ،استبشاراً للمسلمين في العودتين على الرغم من عدم استرجاع طليطلة من سيطرة الاسبان بعد معركة الزلاقة رجع يوسف إلى المغرب وترك حاميات مرابطية في الاندلس تساعد قوات الاندلس للتصدي قوات الاسبان .وبعد هذه المعركة زاد عبث الاسبان الموجودين في حصن البيط في شرق الاندلس فاستنجد المعتمد بن عباد و فقهاء الأندلس بيوسف مرة اخرى فعبر إلى الاندلس ثانية في سنة ٤٨١ هجرية وسار صوب حصن البيط بعد ان توافدت اليه جيوش امراء الطوائف وشددت القوات الاسلامية الحصار على هذا الحصن لمدة اربعة اشهر لكن حلول فصل الشتاء اضطر المسلمين الى الانسحاب الى مدينة لورقة .

كان ليوسف بن تاشفين ثلاث جوازات في عبوره إلى الاندلس اذكرها ؟

١ _العبور الاول : كان في عام ٤٧٩ هجرية و كان سبب هذا العبور هو استجابته لدعوة المعتمد بن عباد على اثر سقوط مدينة طليطلة بين الاسبان و حدث في عبوره الاول المعركة الشهيرة معركة الزلاقة .

٢_العبور الثاني : كان في عام ٤٨١ هجرية و كان سبب هذا العبور شن القشتالين غارات على مدن شرق الاندلس و محاصرة حصن البيط

٣ _العبور الثالث : كان في عام ٤٨٣ هجرية وكان السبب في هذا العبور هو خلع ملوك الطوائف واقامة حكم المرابطين في الاندلس.

***كان بين كل عبور و عبور سنتين ٤٧٩ _ ٤٨١ _ ٤٨٣هـ**

معركة الزلاقة :و هي المعركة التي حدثت بين المرابطين بقيادة يوسف بن تاشفين و بين الاسبان بقيادة الفونسو السادس و ذلك في عام ٤٧٩ على اثرسقوط مدينة طليطلة بين الاسبان و انتهت بهزيمة الاسبان و طعن الفونسو و قد سميت بهذا الاسم لكثرة انزلاق المقاتلين على الارض بسبب كمية الدماء التي أريقت في هذه المعركة .

(عصر المرابطين)

عصر المرابطين في الاندلس يبدأ من سنة ٤٨٣ و يستمر الى سنة ٥٤٠ هـ

(نشأة دولة المرابطين ،وسبب التسمية ،وزعيمهم)

(النشأة)

ظهرت دولة المرابطين في المغرب الاسلامي في القرن الخامس و السادس للهجرة و كان غالبيتهم من قبيلة جدالة و لمتونة .

(سبب التسمية)

وسمي المرابطين بهذا الاسم نسبة إلى خيمهم و رباطهم لانهم كانوا يرابطون للجهاد في سبيل الله.

(زعيمهم)

كان زعيم الدولة و قائدها عبدالله بن ياسين ،الذي استشهد سنة ٤٥١ هجرية . و تولى من بعده الشيخ أبو بكر عمر اللمتوني ، وفي سنة ٤٥٣ هجرية علم ابو بكر بن عمر ان هناك خلاف في جنوب السنغال فسار بجيشه ليحل الخلاف .وامر على دولة المرابطين ابن عمه يوسف بن تاشفين و بقي ابو بكر في افريقيا خمسة عشر عام يدعو إلى الله .اما يوسف فقد اتجه إلى جنوب المغرب فوجد أموراً عجيبة حيث ظهر رجل من قبيلة غمارة اسمه حاميم بن من الله ادعى النبوة و هو من المسلمين ،و لم ينكر نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم واخذ يشرع للناس شرعا و الناس يتبعونه .ففرض عليهم صلاة في الشروق و صلاة في الغروب فقط ،و ألف قرآنا بربري ،و وضع عنهم الوضوء و الطهر من الجنابة و فريضة الحج .وحرم بيض الطيور ،و احل اكل انثى الخنزير و حرم أكل السمك حتى يذبح .و في قبيلة برغواطة ظهر رجل اصل جده يهودي اسمه صالح كذلك ادعى النبوة لكن هذا زاد على ذلك في الصلوات حتى جعلها خمس في الشروق و خمس في الغروب ،وفرض عليهم الزواج من غير المسلمات فقط و الزواج باكثر من اربع نسوة :و قبيلة اخرى وجدها تعبد الكبش و تتقرب الى رب العالمين في جنوب المغرب ،فشق ذلك على يوسف بن تاشفين رحمه الله ،فانطلق إلى الشمال يدعو الناس للاسلام فقاومه وحاربه كل من صالح ،و حاميم .

فأخذ يوسف بن تاشفين يدعو هؤلاء للاسلام ،فدخل معه بعضهم ،اما المعظم فحاربهم بسبعة آلاف رجل حتى اخضعهم للإسلام.

عاد الشيخ ابو بكر بن عمر للمتوني في سنة ٤٨١ هجرية فرأى يوسف بن تاشفين قد استولى على مساحات شاسعة و هكذا صار يوسف بن تاشفين اميراً على دولة واحدة تمتد من تونس إلى السنغال .استشهد ابو بكر عمر في الفتوحات في سنة ٤٨١ هجرية . و اصبح امر المرابطين بيد الامير يوسف بن تاشفين و اصبح في المغرب يتلقى رسائل العون و الاستنجاد من ملوك الطوائف الذين تعرضت بلادهم الاندلس للهجمات الاسبانية و كان اشهر تلك الحملات التي شنها الاسبان بقيادة الفونسو على مدينة طليطلة سنة ٤٧٨ هجرية .و بعد سقوط مدينة طليطلة بيد الاسبان ازداد عبث الإسبان في سائر الاندلس فقرر امراء الطوائف وعلى رأسهم المعتمد بن عباد امير اشبيلية دعوة المرابطين من اجل رد خطر الاسبان فجاءت هذه الدعوة بعد ثلاثة اشهر من سقوط مدينة طليطلة .

@15p_b @a15_mr
Scanned with OKEN Scanner

فتح صقلية ابتداء من سنة ٢١٢ هـ/ ٨٢٧ م :

ذكرنا مقدمات ذلك الفتح وقلنا إن الجند تكاثروا عند زيادة الله إلى درجة كان لابد له معها من أن يجد لهم مخرجاً . والحقيقة أن فتح صقلية تأخر ، فهذه جزيرة كبيرة على أبواب أفريقية ، وقريبة من سواحل بلاد الإسلام . وإنه لمن الغريب أن يفتح المسلمون الأندلس قبل أن يفتحوا صقلية بقرن وربع من الزمان. ويرجع ذلك إلى أن الفتوح الإسلامية سارت فى الكثير جداً من الأحيان دون خطة مرسومة ، لأنه كان ينبغى أن يجىء بعد تمام فتح أفريقية دور صقلية؛ خاصة وأن بينها وبين شواطىء أفريقية جزراً تعتبر معابر إلى سواحلها مثل بنتلاريا (جزائر قوصرة عند العرب) وتتبع إيطاليا ، وكذلك جزر مالطة ، وكلها دخلت فى حوزة الإسلام مع فتح صقلية . وكان تفكير زيادة الله فى فتح صقلية قديماً يرجع إلى بداية ولايته ، فقد تكاثر جنده وأصبحوا يسببون له المتاعب ، ثم إنه ورث عن أبيه ملكاً مستقراً وثروة طائلة ، فتاقت نفسه إلى أن يجدد تقليد الجهاد الإسلامى ، وكانت أحوال صقلية الداخلية سيئة تشجع على التدخل فيها ، ومازال يفكر فى الأمر ويعد له حتى إذا كانت سنة ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م ، رأى زيادة الله ونصحاؤه الشروع فى تنفيذ غزو جزيرة صقلية .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكانت صقلية فى ذلك الحين من الناحية الرسمية من أملاك الدولة البيزنطية ، يحكمها بطريق ، أى قائد عسكرى يسمى بيلاتوس، ويعربه العرب « بلاطة » ، يعتمد على قوة عسكرية قليلة . وكان يرهق السكان بمطالبه المالية ، فكانوا فى حالة تذمر عليه وضيق بالحكم البيزنطى كله . أى أن الجزيرة فى الحقيقة كانت منطقة فراغ سياسى .

ولو أن العرب كانوا فى ذلك الحين على قوتهم المعهودة فيهم ، لما استلزم فتح صقلية أكثر من عامين أو ثلاثة ، كما حدث بالنسبة للشام ومصر . ولكن نوع الجند العربى كان قد تغير ، ولذلك فإن جزيرة صغيرة نسبياً كهذه ، استلزم فتحها نحو السبعين سنة ، ومع ذلك فلم يتم سلطان المسلمين عليها بصورة كاملة إلا فى أواخر أيام إبراهيم بن أحمد بن الأغلب وهو تاسع أمراء ذلك البيت الأغلبى وسنتحدث عنه .

ضوئيا بـ CamScanner

Scanned with OKEN Scanner

(خلع ملوك الطوائف و توحيد الاندلس تحت سيادة المرابطين) .

قرر امير المرابطين يوسف بن تاشفين خلع امراء الطوائف و الاعتماد على نفسه في مواجهة خطر الاسبان .

ماهي الاسباب التي دفعت يوسف بن تاشفين إلى خلع ملوك الطوائف ؟

١_الخلافات الشديدة و المنازعات بين ملوك الطوائف و قد فشلت جميع جهود يوسف بن تاشفين في ازالة هذه الخلافات .

٢_ الموقف الحرج الذي احاط بالقوات المرابطية الموجودة في بلد الاندلس حيث قطع ملوك الطوائف الميرة والتموين عن هذه القوات .

٣_قدم المرابطون تضحيات كبيرة في سبيل انقاذ الاندلس من الخطر الاسباني في معارك الزلاقة و حصن البيط و قد اعتبر ملوك الطوائف هذه التضحيات امور فرضتها الاخوة الاسلامية .

كيف عزز يوسف بن تاشفين موقفه حيال خلع ملوك الطوائف من ناحيتين ؟

الأولى :الحصول على فتاوي فقهاء المشرق الاسلامي امثال الغزالي والطرطوشي .

الثانية :الحصول على تأييد فقهاء الاندلس و عامة الناس الذين اكثروا من شكواهم اليه بعد العبور الثاني وكشفوا ليوسف بن تاشفين النقاب عن سوء و مكر ملوك الطوائف .و حرضوه على خلعهم وكان على رأس هولاء الفقهاء ابو جعفر بن القليعي قاضي قرطبة .

(القضاء على ممالك الطوائف من سنة٤٨٣_٥٠٩ هجرية)

تم ذلك من خلال ظاهرتان

١_**الاولى** :ان اكثر ممالك الطوائف سيطرت عليها القوات المرابطية نتيجة تعاون ملوكها مع الاسبان و موقفهم المضاد للمرابطين .و لهذا سيطرت القوات المرابطية على هذه الممالك.

١_سيطرت على مملكة غرناطة عام ٤٨٣هـ
٢_سيطرت على مملكة إشبيلية عام ٤٨٤هـ
٣_سيطرت على المرية عام ٤٨٤هـ
٤_سيطرت على مرسية عام ٤٨٤هـ
٥_سيطرت على بطليوس عام ٤٨٨ هـ
٦_سيطرت على البونت عام ٤٩٦ هـ
٧_سيطرت على شنتمرية عام ٤٩٧ هـ
٨_سيطرت على سرقسطة عام ٥٠٣ هـ

و قد تمت هذه السيطرة بعد جهود كبيرة قامت بها القوات المرابطية في مقاومة الخطر الاسباني المساعد لملوك الطوائف اولا .و بمقاومة ملوك الطوائف الذين تصدوا للقوات المرابطية ثانيا

@15p_b @a15_mr
Scanned with OKEN Scanner

٢_الثانية :ان بعض ممالك الطوائف مثل مملكة بلنسية و مملكة الجزائر الشرقية دخلتها القوات المرابطية لانقاذها من خطر هجمات الإسبان اي ان هذه الممالك هي التي طلبت العون من المرابطين فبعد ان كانت مملكة بلنسية مسرحا لهجمات الاسبان عام ٤٧٩ -٤٩٥ هـ و خاصة هجمات السيد الكمبيبادور الذي عاث في المنطقة فساداً و ارهق اهلها و تصدى للقوات المرابطية خلال هذه الفترة الطويلة ،و بعد موت الكمبيبادور عام ٤٩٢هـ تعاونت زوجته خمينا مع الفونسو السادس للتصدي للقوات المرابطية .اما الجزائر التي تعرضت لهجمات الاسبان فقد استعان اهلها بالمرابطين الذين انجدوهم بأسطول بحري دخل الجزائر عام ٥٠٩ هـ و بذلك تدخل الجزائرفي حوزة المرابطين .

(جهاد المرابطين للممالك الاسبانية ٤٨٣ -٥٤٢ هـ)

تحدث عن جهاد المرابطين ضد مملكة قشتالة بشكل واضح و دقيق ؟

يتمثل جهاد المرابطين ضد مملكة قشتالة و ليون بمعارك عسكرية و ان هذه المعارك مرت بمرحلتين .

١_المرحلة الأولى ٤٨٣ -٥٢٣ هـ :في هذه المرحلة كان التفوق العسكري للجيوش المرابطية التي بادرت بالهجوم على مدينة طليطلة عاصمة قشتالة و احوازها .فاسترجعت بعض المدن و الحصون المحيطة بها .انتصرت القوات المرابطية على القوات القشتالية في معركة حاسمة و هي معركة اقليش شرقي طليطلة عام ٥٠١ هـ .حيث انهزمت فيها القوات الاسبانية وقتل قائدها الامير سانشو ابن الفونسو السادس ،و بعد هذا الانتصار كررت القوات المرابطية هجومها على مدينة طليطلة و اوشكت ان تسترجعها الى دولة الاسلام و بخاصة في عام ٥٠٧هـ

معركة اقليش :و هي المعركة التي حدثت بين المرابطين و بين الاسبان في شرق مدينة طليطلة سنة ٥٠١ هجرية و انتهت بهزيمة الاسبان و قتل قائدهم سانشو ابن الفونسو السادس

٢_المرحلة الثانية ٥٢٣ _٥٤٢ هـ :بعد ان خسرت القوات المرابطية في معركة القلاعة عام ٥٢٣ هـ امام هجمات قوات ارغون الاسبانية .و بدأت قوات مملكة قشتالة بتكرار الهجوم المستمر على مدن الاندلس بقيادة ملكها الطموح (السليطين)و يبدو لنا ان القوات القشتالية اتخذت عدة محاور من أهمها :

١_محور اشبيلية :قامت القوات القشتالية بمهاجمة إشبيلية و المدن المجاورة لها في عام ٥٢٦ هـ و في عام ٥٣٦ هـ وفي عام ٥٣٨ هـ .

٢_محور بطليوس و غرب الاندلس :قامت القوات القشتالية بهجومها عام ٥٢٨ هـ و في عام ٥٣٢ هـ و في عام ٥٣٦ هـ وبلغ من شدة هجوم القوات القشتالية انها وصلت إلى أحواز مدن قرطبة و اشبيلية و القت الرعب في نفوسها ولا ينكر دور القوات المرابطية في هذه الفترة التي كرست جل استعداداتها العسكرية من أجل التصدي للقوات الاسبانية و كانت القوات المرابطية تنتزع النصر في أغلب الاحيان من القشتاليين .و ما عرقل مساعي المرابطين في هذه الفترة هو ظهور الموحدين في عدوة المغرب و الثورات المتعاقبة في الاندلس

معركة القلاعة :و هي المعركة التي حدثت بين الاسبان و بين المرابطين في شرق الاندلس و ذلك في عام ٥٢٣ هجرية و انتهت بهزيمة المرابطين.

كيف اتسمت طبيعة الصراع بين المسلمين و الاسبان في عصر المرابطين ؟

١_تزعم الفونسو السادس ملك قشتالة جبهة الاسبان ضد المرابطين إلى وفاته عام ٥٠١ ثم تزعمها الفونسو الاول المحارب و بعد و فاته عام ٥٢٨ تزعمها الفونسو السابع اي وجود الملك الاسباني حسب مقتضيات الامور

٢_اتسمت المعارك المتبادلة بين الجانب المرابطي و الاسباني بعنفها و قوتها و قد عزز كل جانب معاركه بروح دينية عالية تزعمها رجال الدين من اجل احراز النصر وكسب المعركة .

٣_على الرغم من الروح الجهادية العالية التي تمتع بها الجيش المرابطي في الاندلس و انتصاراته في المعارك المهمة ضد الاسبان الان هذا الجيش لم يسترجع اي مدينة اندلسية سيطر عليها الا سبان خلال مراحل الصراع ابتداء من طليطلة و مروراً بغرب الاندلس و إلى الثغر الاعلى .

٤_اثقلت الحروب الجهادية كاهل الجيوش المرابطية في الاندلس و فقدت خيرة قادتها مما اضعف هذه الجيوش في ما بعد .

(جهاد المرابطين لممالك البرتغال ٤٨٣ _ ٥٤٢ هـ) (مملكة ارغون)

تحدث عن جهاد المرابطين لممالك البرتغال مملكة ارغون مع الشواهد التاريخية ؟

نتيجة لسقوط بيت المقدس بيد الاوربيين عام ٤٩٢ هـ عبرت قوات اوربا الى اسبانيا و بدات تعاون ملك ارغون من اجل استرداداهم المدن الاندلسية ،فبدا الفونسو المحارب بمحاصرة مدينة تطيلة عام ٥١١ هـ و احتلها و بذلك انهار الخط الدفاعي لمدينة سرقسطة ،و في عام ٥١٢هـ شدد الحصار على مدينة سرقسطة تساعده قوات اوربية ،و استمر هذا الحصار مدة سبعة اشهر ،وحاصر الاسبان المدينة اقتصادياإلى جانب الهجمات المتكررة عليها ،ففي رمضان عام ٥١٢هـ دخل الفونسو المحارب المدينة .وحول مسجدها إلى كنيسة سميت (بكنيسة لاسيو) و اتخذ من مدينة سرقسطة عاصمة لمملكة ارغون الاسبانية ،و بسقوط سرقسطة اصبحت قواعد الثغر الاعلى الاخرى مهددة امام زحف الفونسو المحارب الذي سيطر على مدينة روطة المنيعة في العلم نفسه ،ثم سيطر في عام ٥١٣ هـ على مدينة طرسونة ،كما فرض سيطرته على مدينة قلعة ايوب وكانت امنع ما تبقى من معاقل الثغر الاعلى .ونتيجة لهذه الانتصارات التي احرزها الفونسو المحارب ازداد نشاطه العسكري في السيطرة على المعاقل المنيعة ،ففي عام ٥١٤ هـ انتصر على المرابطين في معركة قتندة و من المعارك التي انتصر فيها الفوسو المحارب معركة القلاعة عام ٥٢٣ هـ ،و فتحت الابواب امام شدة الهجمات الاسبانية على مدينة بلنسية وما يجاورها من الحصون ثم زحف نحو مدينة افراغة فتصدت له القوات المرابطية وانتصر فيها المسلمون لاول مرة ضد ملك ارغون عام ٥٢٨ هـ و بعد هذه المعركة مات الفونسو المحارب . وكان لانتصار المرابطين في افراغة صدى عميق في سائر انحاء الاندلس حيث عاد المرابطين الى قوتهم العسكرية ،و لو انهم لم يستغلوا هذا النصر ويزحفوا الى سرقسطة من اجل ارجاعها إلى دولة الاسلام .

معركة قتندة :و هي المعركة التي حدثت بين المرابطين و بين الاسبان في موقع يسمى قتندة وذلك في سنة ٥١٤ هجرية و انتهت بهزيمة المسلمين و استشهاد عدد كبير بينهم العديد من العلماء والفقهاء.

معركة افراغة :و هي المعركة التي حدثت بين الاسبان و بين المرابطين في مملكة ارغوان و ذلك في سنة ٥٢٨ هجرية انتهت بانتصار المسلمين على قوات مملكة ارغوان .

@15p_b @a15_mr

Scanned with OKEN Scanner

ما هي سمات و خصائص عصر المرابطين في الاندلس ؟

١_اتسم الحكم المرابطي بالصدق و الولاء للاسلام .
٢_امتاز عصر المرابطين باعمال الجهاد في الميدان العسكري في الاندلس .
٣_عم الامن والاطمئنان و كثر الخير و النعمة و ساد العدل و انتشر العلم و نمت الدراسات
٤_تحقيق انتصارات عسكرية على الافرنج لاسيما في معركة الزلاقة عام ٤٧٩ هـ
٥_كانت الاندلس ايام المرابطين مقسمة إلى ست ولايات هي اشبيلية_غرناطة _قرطبة_بلنسية مرسية_ سرقسطة .
٦_كان الطابع العسكري واضح في تنظيمات الدولة وفي كثير من اجراءاتها .

ما هي اسباب انهيار دولة المرابطين في الاندلس ؟

١_قيام دولة الموحدين في المغرب.
٢_قيام الثورات المتعاقبة في الاندلس .
٣_سقوط المدن المهمة مثل سرقسطة و مرية ثم الاندلس .
٤_أصابهم الضعف نتيجة لاتخاذهم مبدأ الحكم الوراثي.
٥_اصاب الجيش التعب لكثرة الحروب.
٦_الضربات العنيفة التي تلقتها دولة المرابطين من القشتاليين .

(سنوات و احداث بارزة متعلقة بعصر المرابطين)

سنة ٥٨٣ هـ عبور يوسف بن تاشفين الثالث و خلع ملوك الطوائف و قيام عصرالمرابطين

سنة ٥٠١ هـ حدثت معركة اقليش .

سنة ٥١٤ هـ حدثت معركة قتندة .

سنة ٥٢٣ هـ حدثت معركة قلاعة .

سنة ٥٢٨ هـ حدثت معركة افراغة .

عماد عبد الله

Scanned with OKEN Scanner